مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 11 العدد: (02) - 2023 / ص51- ص85.

منظومة السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في التأصيل لفقه الحضارة الإسلامية

Rules Godly System In Quran And Their Role In legitimacy For Jurisprudence Islamic Civilization

د. الطيب برمضان[1]، دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية، تخصص: شريعة وقانون
كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة، (الجزائر)
bertayeb1986@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/24	تاريخ القبول: 2023/05/26	تاريخ النشر: 2023/07/31

الملخص:

خلق الله تعالى هذا الكون وفق سنن عظيمة منتظمة لا تتخلف، ولا تتبدل, ولا تحابي، وإن فقه هذه السنن يعين المسلم الذي ينشد الحقيقة للوصول إلى أهدافه في هذه الحياة, فالسنن التي تحكم الكون والحياة قدر من قدر الله تعالى، والتعرف عليها والانضباط بها هو حقيقة التكليف، كما أن فقهها والعمل بمقتضاها يحقق النصر والتفوق على مستوى الأفراد، والمجتمعات، وإن غياب فقه هذه السنن هو الذي يؤول بالأمة إلى الفوضى, والاضطراب والتراجع، والانحسار الحضاري, وقد اشتمل القرآن الكريم على منظومة سننية فاعلة للبناء الحضاري المنشود لمن فهمها ،وطبق مضامينها بشكل صحيح، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتورد أهم السنن الحضارية الواردة في القرآن الكريم التي نرى أنها تؤصل لفقه الحضارة الإسلامية.

كلمات مفتاحية: السنن؛ الإلهية؛ التأصيل؛ فقه؛ الحضارة؛ الإسلامية.

Abstract:

The Lord made this heaven in a great rules regular are not far behind, and will not replace, and not favour, the understanding of this godly rules will help Muslim to who seek the truth; to reach his goals in this life, Rules that govern the universe and the life wisdom of the Lord, and to recognise, and observance is the truth of the Mandate, Also the understanding, and work out achieve victory, and excellence individual, and societies, That lack and jurisprudence of this rules that tends any nation into chaos, and disorder, and retreat civilized, The Quran has included rules system actor to build civilization desired for person who understand, and implemented his content properly, Hence this study importance to recall the civilized rules contained in the Quran which we feel basis for jurisprudence Islamic civilization.

Keywords: rules; godly; legitimacy; jurisprudence; civilization; Islamic.

[1] د. الطيب برمضان bertayeb1986@yahoo.com

مقدمة:

الحمد لله العزيز الوهاب الذي أكرمنا بأجلِّ كتاب، وأشرف الصلاة، وأزكى السلام على سيدنا محمد خير من أوتي الحكمة، وفصل الخطاب، ورضي الله عن الآل والأصحاب، ومن سلك نهجهم إلى يوم المآب، وبعد:

القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، ولبنة التمام للرسالات الربانية إلى خاتم الأنبياء محمد-صلى الله عليه وسلم-،ولا غرو أن يكون أول مصادر التشريع الإسلامي، ولبها، وقطب رحاها الذي يشع منه سناه وهداه، قد اشتمل على أصول الهداية إلى الخيرات، وأنواع المسرات في الدنيا والآخرة، وقد كانت عناية العلماء المسلمين المتقدمين باستنباط درره، واستكناه كنوزه قد بلغت الغاية القصوى، والعناية الأسنى؛ فنجدهم استخرجوا منه كل فن، وهم مشكورون على ذلك مأجورون-إن شاء الله-،لكن هذا النشاط والاجتهاد أعقبه فتور وتخلف من الأجيال المتأخرة؛ فركن أكثرهم إلى التقليد، والاجترار، وجثم معظمهم على ما خلفه السابقون الأولون، على أن هناك بقية من العلماء ممن شمروا ساعد الجد، وألزموا أنفسهم تحريك عجلة الفقه والاجتهاد بمحاولة جادة، وعزيمة صلبة؛ لخدمة الغايات والمقاصد العليا التي جاء القرآن الكريم بأعلامها، وأضاء مناراتها، ومن أهم تلك المقاصد فقه السنن الإلهية التي انطوى عليها الكون أولا، ثم تفعيل هذه السنن لصالح البشر، والخير والصلاح والازدهار في هذا العالم؛ فالقرآن العظيم تضمن جملة من المبادئ والأحكام التي تغطي جوانب الحياة الرئيسة، وتستوعب قضايا الإنسان الأساسية، وتطرح أمام الإنسانية مناهج التدبر، والتأمل، والعمل، والتفعيل.

أهمية الموضوع:

إن لله سبحانه وتعالى سننا عظيمة في هذا الكون تجري على العباد والبلاد, تحت كل سماء وفوق كل أرض, سنن لا تتخلف, وفقه هذه السنن يعين المسلم الذي ينشد الحقيقة والخيرية للوصول إلى أهدافه وغاياته, وتحقق له الطمأنينة والأمن في هذه الحياة, وما بعد هذه الحياة, كما أن فقهها والعمل بمقتضاها يحقق النصر والتفوق, والغلبة والظهور على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المجتمعات، وإن غياب فقه هذه السنن يؤول بصاحبه أو بأصحابه إلى الفوضى, والاضطراب والتأخر, والقلق والهزيمة والتراجع, واليأس, والقنوط, ومن هنا فإن دراسة هذه السنن واستنباطها, ودراسة المنهج السليم في تطبيقها على أرض الواقع تعين في رسم منهج المسلم، وهو يسير في دربه إلى الله تعالى, وينشد العلو والتقدم في هذه الحياة.

وبناء عليه لا بد من إدراك هذه السنن وفهمها والإفادة منها وحسن التعامل معها، فالسنن التي تحكم الكون والحياة قدر من قدر الله تعالى، والتعرف عليها والانضباط بمقتضياتها هو حقيقة التكليف، وحقيقة الإيمان والتوكل... وما هذا الانحسار الحضاري الذي تعيشه الأمة إلا بسبب العدول عن هذه السنن وعدم الانضباط بها، وسوء التعامل معها، فضلًا عن الجهل بها وعدم معرفتها**!!**[1]

والدارس الخبير بتاريخ الأمة الإسلامية الثقافي يجد أن مسألة السنن قد احتلت في تراثها وتاريخها الفكري حيزا مهما من العناية والاهتمام، ذلك أن علماءنا المتقدمين أدركوا منذ وقت مبكر على مستويي التنظير والتطبيق أن هذا الكون-الذي هو مجال استخلاف الإنسان-محكوم بنواميس وسنن إلهية عامة، وأنه لن يتأت للإنسان الفعل المؤثر، والإنجاز المثمر، إلا بإدراك هذه السنن واكتشافها، والتحكم فيها، والاحتكام إليها؛ لأن الوعي بالثقافة السننية، وحسن التعامل

معها، وتسخيرها بالشكل اللائق، هو الذي مكن الأنساق الحضارية المتقدمة اليوم من كسب رهانات الإبداع والفعل الحضاري، ولعل هذا من الأسرار التي كانت وراء تأخر أمم وجماعات هي أهل لقيادة البشرية وأصلح لها، وتقدم أخرى على الرغم من عدم صلاحية نماذجها، وأنماطها الحضارية، فذاقت الإنسانية نتيجة لذلك الويلات والهموم[2].

وإنه بالاستقراء والنظر في الآيات القرآنية يتبين لنا أن السنن بمجموعها تشغل مساحة واسعة في كتاب الله تعالى، كيف لا وقد بلغت آيات القصص، وهي تمثل جانبا من الجوانب التي يعرض القرآن من خلالها السنن، ما يقارب ألفا وخمسمائة آية، وهو ما يوازي ربع آي القرآن الكريم على وجه التقريب، ويوازي ثلاثةَ أضعاف آيات الأحكام، والتي بلغت خمسمائة آية تقريبا، وهذا الحضور القوي لآيات السنن في القرآن الكريم، يدل-بلا شك-على أهمية معرفة تلك السنن؛ لما لها من الثمرات والمنافع، إلا أن علم هذه السنن كعلم مستقل له أسسه وضوابطه ومناهجه لم يأخذ بعد طريقه إلى المسلمين، بل وأكثر من ذلك إلى المؤسسات والمنظمات الإسلامية التي تسعى إلى إخراج الأمة من أسر التخلف، وظلمات الجهل والتبعية، إلى استثمار هذه السنن لتحقيق نهضة الأمة، ومباشرة عملية بناء حضارتها.

إشكالية الموضوع:

من أجل الأهمية التي يكتسيها فقه السنن الحضارية في القرآن الكريم؛ فإن أهم إشكالية التي قد تكون مثارة حول هذا الموضوع يمكن إجمالها في الآتي:

- ما هي أهم السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم التي تعتبر قواعد تؤصل لفقه الحضارة الإسلامية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسة للبحث طرحنا عدة تساؤلات من أهمها:

1. ما مفهوم السنن الإلهية؟ وما مدى مشروعية فقه هذه السنن وأهميتها؟
2. ما هي منظومة السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم باعتباره أهم مظان الفقه السنني؟
3. ما هو دور النصوص القرآنية في التنظير لفقه السنن الحضارية، ومدى رسمها لمعالم الانطلاق الحضاري المنشود للأمة الإسلامية في واقعها المعاصر للقيام بواجب الاستخلاف الحضاري؟

الدراسات السابقة:

لقد حظي موضوع السنن الإلهية في القرآن الكريم بعناية الكثير من الباحثين المعاصرين من خلال دراسته من عدة نواح؛ سواء اجتماعية، أو تاريخية، أو اقتصادية، أو كونية، أو نفسية...،وأغلب هذه الدراسات المنجزة هي دراسات تمتاز بالتأصيل باستثناء القليل منها، ونحن نتطلع إلى التأسيس لهذا العلم بناء على جهود السابقين التأسيسية له مثل: الإمام الغزالي -رحمه الله- في كتابه "إحياء علوم الدين" ،والإمام ابن تيمية -رحمه الله- في كتبه وفتاويه، والإمام ابن خلدون في "تاريخه"، والشيخ الإمام محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا -رحمهما الله- في كتبهم خاصة تفسير "المنار"، والأستاذ الجزائري الفذ مالك بن نبي -رحمه الله- في تآليفه الفريدة، وتلميذه السوري سعيد جودت -رحمه الله- في كتاباته التي عرضنا لبعضها في هذا البحث، والإمامان: أبو الأعلى المودودي -رحمه الله- في كتبه، والطاهر بن عاشور -رحمه الله- في تفسيره "التحرير والتنوير"..، ومن أبرز تلك الجهود المعاصرة أيضا التي اعتنت بموضوع الفقه السنني-بشكل عام- ما كتبه الدكتور عبد الكريم زيدان -رحمه الله-، والشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي -رحمه الله-، والدكتور محمد قطب -رحمه الله-،والدكتور يوسف القرضاوي -رحمه الله-، وغيرهم من أعيان علماء العصر، ومنها إسهامات العلماء الجزائريين المعاصرين الإبداعية على غرار الدكتور الطيب برغوث، والدكتور عبد العزيز

برغوث، والدكتور الجزائري محمد هيشور وغيرها من الجهود في المشرق والمغرب، التي نرجو ونتطلع أن تعقبها جهود أخرى من أجل التأسيس والتقعيد والتنزيل لهذا الفكر الحضاري، انطلاقا من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وجهود السابقين واللاحقين.

والذي يميز هذه الدراسة المتواضعة أنها رامت جمع ما في بطون تلك الكتب من سنن حضارية مقتبسة، ومستنبطة من القرآن الكريم؛ المصدر الأول للتشريع في الإسلام، ومحاولة عرضها مركزة ومختصرة على حسب المتاح، والوسع، والإمكان.

أهداف الموضوع: يمكن تلخيص أهم أهداف هذا البحث في الآتي:

1. التعرف على مفهوم السنن الإلهية، وتحرير هذا المصطلح بدقة من خلال عرض مختلف التعريفات المعاصرة له.
2. محاولة استقراء وحصر أهم السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم، والتي لها علاقة بفقه السنن الحضارية.
3. محاولة التأصيل قرآنيا للسنن الحضارية من خلال عرض أهم معالم السنن الواردة في القرآن العظيم، والتي لها علاقة مباشرة بالبعث الحضاري، والاستخلاف المنشود للأمة الإسلامية.

منهج البحث:

سلكت في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي بتتبع جزئيات البحث في موضوع "السنن الإلهية" الواردة في القرآن الكريم؛ للوصول إلى تصور كلي لهاته المنظومة السننية؛ وذلك بالتوثيق من المصادر الأصلية لكل معلومة، وتحديد الآية والسورة، وتخريج الأحاديث والآثار تخريجا علميا، والرجوع في أقوال الفقهاء إلى مظانها في الكتب المعتمدة ،وبيان الآراء بشكل مقتضب.

1. مفهوم السنن الإلهية ومواردها في القرآن الكريم:

سنتطرق في هذا المطلب إلى عرض أهم التعريفات الموضوعة للسن الإلهية، ومحاولة تحديد، واختيار التعريف الجامع لها، ثم نذكر موارد لفظ "السنة" في القرآن الكريم، ومشروعية فقه السنن الإلهية؛ وذلك من خلال الفرعين التاليين:

أ- مفهوم السنن الإلهية:

سنتطرق في هذا الفرع إلى بيان الجانب المفاهيمي لكل من السنن الإلهية من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ثم نعرض لبيان مفهوم الحضارة الإسلامية؛ وذلك على النحو الآتي:

أولا: **المفهوم اللغوي للسنن الإلهية**:

السُّنَّة[3]: السيرة؛ حسنة كانت أو قبيحة، ومنه قوله-عليه السلام-:((**من سنَّ سنة حسنة**))[4]؛أي طرق طريقة حسنة، وفي حديث المجوس:((**سنُّوا بهم سنة أهل الكتاب**))[5]؛أي خذوهم على طريقتهم، وأجروهم في قبول الجزية منهم مجراهم[6].

ومنه قول لبيد بن ربيعة العامري:

مِن مَعشَرٍ سَنَّت لهُم آباؤُهُم *** ولكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإمَامُهَا

وقيل: السِّن والنُّون أصل واحد مطرد؛وهو جريان الشيء، و اطراده في سهولة، والأصل سننت الماء على وجهي أسُنُّه سَنًّا: إذا أرسلته إرسالا[7]؛فالسنة بهذا المعنى تفيد الجريان، والاطراد، والتتابع، والدوام.

وبالتالي تعددت وجوه استعمال لفظ "السنة" في اللسان العربي بين الطريقة، والعادة المطردة، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، والمثال المتبع، والشريعة، والوجهة، والمقصد، والطبيعة، والسجية.

واستعمال السنة بمعنى الطريقة هو الأكثر ورودا في كلام العرب قديما؛ بمعنى طريقة في الحياة متعارف عليها بين قوم، أو قبيلة يكون بحسبها السلوك، والفعل، ونمط العيش[8].

وقال جمهور المفسرين: السنة هي الطريقة المعبَّدة، والسيرة المتبعة، أو المثال المتبع[9].

والملاحظ أن معظم المفسرين في معنى "السنة" تعاملوا معها بمعناها اللغوي لا الاصطلاحي؛ فلم يزيدوا على تفسيرها بلفظة مرادفة لها؛ مثل :الطريقة، أو العادة ،أو المنهج، أو السيرة، أو المثال، أو القواعد، أو السبل، أو حكم الله، أو أمر الله وغيرها[10]،ثم أصبحت كلمات ودلالات "السنن" علما على قوانين الله التي تحكم الامتداد الأفقي والعمودي للحياة كلها[11].

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للسنن الإلهية:

لقد تنبه العلماء من الصحابة الكرام-رضي الله عنهم- إلى آيات السنن الكثيرة المودعة في نصوص الوحي الشريف من كتاب وسنة؛ فأعملوها في حياتهم، وجعلوها منهجا خططوا فيه لمجتمعهم؛ حاضرهم ومستقبلهم.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده: "إني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن، وعالمين بمراد الله من ذكرها..، كانوا يفهمون المراد من سنن الله تعالى، ويهتدون بها في حروبهم، وفتوحاتهم، وسياستهم للأمم التي استولوا عليها، وما كانوا عليه من العلم بالتجربة والعمل أنفع من العلم النظري المحض"[12].

وعلى خطاهم المباركة فطن الحكماء من العلماء المسلمين أيضا مبكرا لفقه السنن الإلهية المبثوث في القرآن الكريم؛ ومن أعيان هؤلاء الإمام أبو حامد الغزالي الذي قال في بيان القدر المحمود من العلوم المطلوبة: "أما القسم المحمود إلى غاية الاستقصاء ،فهو العلم بالله تعالى، وبصفاته، وأفعاله، وسننه في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، إن هذا العلم مطلوب لذاته"[13]،ثم فضل الغزالي أهل هذا العلم على جميع العملاء من متكلمين وفقهاء، وبين أن هذا العلم هو الذي امتاز به عظماء الصحابة-رضي الله عنهم-،وأنه الذي عناه عبد الله بن مسعود لما قال في موت عمر بن الخطاب :"مات تسعة أعشار العلم.."[14].

ونجد أيضا الإمام ابن تيمية قد خصص رسالة للفظ "السنة" في القرآن، وجمع الآيات الدالة على السنن، والتي تحتوى على لفظ سنة، وقام بشرحها وتوضيحها؛ فقال: "إن قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن.., فهو-سبحانه- يعم سنته في خلقه وأمره في الطبيعيات والدينيات[15].

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن الذي جعل ابن خلدون يحتل مكان الصدارة بين العلماء العالميين هو تنبهه إلى السنن (القوانين) التي تجعل البشر يرتفعون في مستوى العمران (الحضارات والنهضة) أو ينخفضون.., فالبشر يمكنهم باستخدام السنن المتعلقة بتغيير النفس من دفع أو خفض مستوى الأفراد والمجتمعات حسب الهدف الذي يرمي إليه الإنسان الذي يقوم بهذه المهمة[16].

وأيضا نلحظ أن مفهوم السنن الإلهية شغل حيزا كبيرا في خطاب الإمام رشيد رضا، وهو متأثر في هذا بشيخه الإمام محمد عبده، وقد اعتمد في خطابه على التوجيه للإصلاح، وتجاوز الشدائد لتشييد حضارة شاملة فكرية واجتماعية وسياسية، وكذلك في تفسيره للقرآن الكريم، وخطاب رشيد رضا كاد لا يخلو من ذكر السنن، وتطبيقاتها على خطابه الإصلاحي[17]،ومما قاله: "وليتذكروا بهذه الآيات كلها ـ أن الله ـ تعالى ـ بيّن للناس أن له سننا في حياة الأمم، ولابد لمعرفتها بالتفصيل بالرجوع إلى التاريخ الذي يبيّن مصداق آياته في الغابرين، ومن السير في الأرض لمعرفة تقلبها في الأولين والآخرين.." [18].

والحق أن علم السنن الإلهية هو علم أصيل جديد متجدد، وقد بدأت معالمه تتضح، وأبوابه تظهر، وفصوله تبرز، ومسائله تشرح في عصرنا الحديث، بفضل ثلة مباركة من الباحثين المجددين في هذا الحقل المعرفي الهام؛ فتفاوتت تعريفاتهم، واختلفت عباراتهم في توضيح مفهوم السنن الإلهية.

وقد رأى بعضهم أنه يمكن تقسيم تلك التعريفات إلى أقسام ثلاثة هي على الآتي[19]:

القسم الأول: **تعريفات خاصة بالسنن الاجتماعية**؛ وهذه نالت الحظ الأوفر من تعريفات الكتاب والباحثين[20]، وممن سار على هذا النهج الدكتور عبد الكريم زيدان؛ حيث قال: "سنة الله هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى البشر بناء على سلوكهم، وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[21]،وعرفها بعضهم الآخر بأنها: "تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر، وأفعالهم، ومعتقداتهم، وسيرتهم في الدنيا، وفق أحوال الاجتماع، والعمران البشري، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل"[22].

أو هي: "النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي، يقع في الحاضر؛ إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين"[23].

القسم الثاني: **تعريفات خاصة بالسنن الكونية**، وممن سار على هذا المنهج سيد قطب؛ حيث يقول: "السنن هي القوانين الكونية التي أودعها الله في هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها، ويعمل بمقتضاها"[24].

أو هي: "تلك الأمور الطبيعية التي تحدث تلقائيا وفق سنن التسخير الربانية، دون أن يكون للإنسان شأن فيها؛ كطلوع الشمس وغروبها، وسير الكواكب في أفلاكها"[25]،أو هي: "التي تتعلق بالأشياء ،والظواهر، والأحداث المادية والطبيعية غالبا[26].

القسم الثالث: **تعريفات مزجت بين السنن الاجتماعية، والسنن الكونية**، وممن سار على هذا النهج عمر عبيد حسنة؛ حيث يقول: "السنن هي القوانين المطردة الثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية"[27]،وقيل أيضا هي:"مجموعة نواميس ربانية ثابتة، يسير وفقها الوجود كله بأحيائه وأشيائه، وأما السنة في مجال الحضارة والتاريخ البشري العام فهي مجموعة نواميس، وأحكام ربانية ثابتة، تتحكم بحركة التاريخ، وتبدل الحضارات بين الأمم، وفق السنة الإلهية الكلية"[28]،أو هي:"تعني النهج الدائم الذي لا يتخلف"[29].

وحجة أصحاب هذا التقسيم الأخير هو أن سنن الله في المجتمعات البشرية امتداد طبيعي لسننه في المجالات الكونية، لأنها قوانين واحدة وأسباب واحدة، ونواميس واحدة، تصدر عن إرادة واحدة، وتنبثق عن مشيئة واحدة؛ ومن أجل هذا الفرق بين الأحداث الكونية المادية، وبين الأحداث البشرية يغفل الناس كثيرا عن سنة الله في الاجتماع البشري، وفي

تصرفات وسلوك الأفراد والأمم ويظنون أن أمورهم لا تخضع كما تخضع الظواهر الكونية لقانون الأسباب والمسببات[30]؛ولا شك أن هذا الرأي له وجاهته ،وهو ما نرجحه من التقسيمات الثلاث للسنن.

ويقسم بعض الباحثين المعاصرين السنن الإلهية باعتبار مجال تطبيقاتها إلى أربعة أقسام[31]:

1. السنن الكونية (آيات الآفاق).
2. السنن الإنسانية ويتفرع عنها السنن الاجتماعية، والسنن التاريخية.
3. سنن الهداية (التشريعية).
4. سنن التأييد.

وقد عرفها بعضهم بأنها:القوانين الكونية التي جعلها الله تعالى في تبدل أحوال الناس وأمورهم إلى الأحسن أو الأسوأ بحسب ما يصدر منهم وفق علمه سبحانه وإرادته وحكمته[32].

ويمكن أن نعرف السنن الإلهية بأنها: القوانين أو النظم التي أودعها الله تعالى في المفردات الكونية ؛لكي تؤدي كل مفردة منها وظيفتها الوجودية الذاتية والخارجية، وتحقق الغرض منها؛ إذ كلها منظومة ثابتة مطردة، منتظمة محكمة هادفة.

ثالثا: مفهوم الحضارة الإسلامية:

الحضارة[33]: مشتق من مادة "حضر"؛ وهي تعني الإقامة، والحضارة ضد البادية؛ يقال: فلان من أهل الحاضرة؛ سميت بذلك؛ لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار التي يكون بها القرار.

والحضارة-بمفهومها العام- يمكن تعريفها بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي[34].

وبالنسبة لمفهوم الحضارة الإسلامية، فإنه يمكن تعريفها بأنها: ثمرة التفاعل بين الإنسان، والكون، والحياة[35].

أو هي: الحضارة التي تقوم على أساس الإيمان بالله، وعلى أساس العقيدة الإسلامية[36]؛وذلك نجد أن الأستاذ مالك بن نبي فقد حاول أن يربط الحضارة بالوحي الهابط من السماء؛ فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، ويكون للناس شرعة ومنهاجا؛ فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية[37].

ب- مشروعية فقه السنن الإلهية ومواردها في القرآن الكريم:

سنتناول في هذا الفرع مشروعية فقه السنن الحضارية، وحجيتها من الناحية الشرعية، ثم نعرض لذكر موارد لفظ "السنة" في القرآن الكريم؛ وذلك على النحو الآتي:

أولا: مشروعية فقه السنن الإلهية:

العلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم، وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، ودلنا على مأخذه من أحوال الأمم؛ إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها[38].

وقد عدَّ الكثير من العلماء والباحثين المعاصرين الفقه السنني من قبيل "**فروض الكفاية**"؛ كما صرح بذلك الشيخ محمد عبده في قوله :"إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة؛ لنستديم ما فيها من الهداية، والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء

بالتفصيل عملا بإرشاده"[39]؛فتعلم هذه القوانين الخالدة يشبه دراسة علوم الكون المختلفة، ومعرفة الضوابط التي تحكم علاقة المادة بعضها البعض[40].

ولقد كان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- من أبصر الناس بطبائع الشعوب، وأسباب ازدهارها، واندثارها، وكيف تبنى الدول، وتصان، وتنصر، وتؤدي رسالتها، وسياسته في المال، والحكم أمارة وعي عميق بالإسلام وغاياته[41].

وعلماء الصحابة والتابعين، وأئمة الأمصار-الذين ورثوا الكتاب بالسليقة- كانوا يفهمون هذه السنن الإلهية في الخلق ويهتدون بها، وإن لم يضعوا لها قواعد علمية، وفنية لتفقيه من بعدهم فيها، ثم زالت السليقة فصاروا يفسرون القرآن والدين بالقواعد والفنون والمعارف الموروثة من الشعوب التي أسلمت، ولم يكن علم الاجتماع قد دونه أحد[42].

ولم يقصر المصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم الكتاب والسنة، كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم، وبين النصوص التي وردت في ذلك، والحث على الاعتبار بها، ولو عنوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام، وقواعد الكلام لأفادوا الأمة بما يحفظ دينها ودنياها..، فإن العلم بسنن الله تعالى في عباده لا يعلوه إلا العلم بالله تعالى، وصفاته، وأفعاله، بل هو منه، أو من طرقه ووسائله[43].

ولم يلتفتوا إلى علم "الحضارة في القرآن" بل إن اهتمامهم بقصص القرآن جاء عرَضا، وعندما اهتموا بها تناولوها بالطريقة التاريخية السردية دون محاولة استخلاص ما وراءها من قوانين، وسنن كونية واجتماعية[44].

وهذا العلم مشاع للجميع، ولا يختص المسلمون بشيء منه باعتبارهم مسلمين، اللهم إلا في القصد من تعلمه ،وأوجه الانتفاع منه من حيثية أنه محكوم بحكم الشريعة الإسلامية ؛فما تبيحه، فهو المباح، أو الواجب، وما تنهى عنه فهو المكروه، أو الحرام[45].

وبالتالي فإن سنن الله تعالى جديرة بالدراسة والفهم؛ لأن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جدا، والواجبة شرعا ودينا؛ إذ هي جزء من معرفة الدين، ومن جملته معرفة أحوال الأمم مع أنبيائهم، وما حلّ فيهم بسبب سلوكهم معهم وفقاً لسنن الله تعالى، كما أنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذرنا الله .عز وجل .منه، ونظفر بما وعد الله .تعالى .به عباده المتقين[46]،وإن انطلاق المسلمين لاستيعاب علم السنن، وامتلاك أسباب القوة في جميع مجالات العلوم تجريبية وإنسانية؛ لحماية دينهم، وأوطانهم، ومكتسباتهم الحضارية؛ ما زال فريضة شرعية غائبة إن لم يقم بها بعضهم أثموا جميعاً وسئلوا عنها يوم القيامة بين يدي الله .عز وجل[47].

وسنن الله تعالى التي بينها الله في القرآن الكريم، أو بينها الرسول-صلى الله عليه وسلم- جديرة بالدراسة والفهم ،بل إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جدا، والواجبة ديانة..؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار، والغرور والأماني الكاذبة[48]؛فالأمة التي كتب لها النجاة من علل الاجتماع، أو الشفاء منها عند الالتياث بها، تتعرف تلك السنن، وتطبق أعمالها عليها، والأمة التي قدر عليها الاضطراب، أو الفناء تغبى عن هذه السنن، وتجري من أعمالها في غير هدى[49].

إن معاندة سنن الله المطردة، ومحاولة القفز فوق هذه السنن، وعدم مراعاتها، يعني سلوك الأمة طريق التقهقر، ومزيدا من السقوط والارتكاس، أو ما يمكن أن يسمى بـ"العمى الحضاري"[50]؛ففقه السنن الإلهية يقود إلى الإيمان بوجود غاية من وراء خلق هذا الكون، وتسخيره للإنسان، فإن وجود قوانين تحكم سير الجماعات البشرية بضبط، ودقة

وانتظام؛ دليل على وجود غاية من وراء خلق هذا الكون ،واستخلاف الإنسان فيه، كما أنه دليل على انتفاء العبثية في الكون ،والخلق بأكمله[51].

ومن أجل أن نطمئن بين لنا القرآن في أكثر من موضع ثبات هذه السنن، ونفادها، وعدم تبدلها أو تحولها، إنها موجود أساسا في صميم التركيب الكوني، وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم[52].

وفرق كبير من يتعامل مع ظواهر تحدها نواميس ثابتة، وضوابط محددة، فهو يتصرف باطمئنان، ويتحرك باتزان، يعرف مواطن الثقة، ومواطن القلق، ويعلم كيف يصرف إمكانياته، لا يستخفه استعجال، ولا يقعد به ملل، واستبطاء للنتائج.. وبين من يظن أن الأمر سر لا مطمع في كشفه، وأنه لغز لا يملك الإنسان إلا أن يقف أمامه بحيرة، ودهشة، وذهول[53].

ثانيا: موارد السنن الإلهية في القرآن الكريم:

خطاب القرآن بالسننية هو خطاب جديد غير مسبوق، لم يعهد في الكتب السالفة، حتى قال رشيد رضا: هذا إرشاد إلهي لم يعهد في كتاب سماوي، ولعله أرجئ إلى أن يبلغ الإنسان كمال استعداده الاجتماعي، فلم يرد إلا في القرآن، الذي ختم الله به الأديان[54].

وقد ورد لفظ "السنة" في القرآن الكريم باشتقاقاته المختلفة ست عشرة مرة موزعة في عشر سور؛ خمس منها مكية، وخمس مدنية؛ فذكر بصيغة المفرد أربع عشرة مرة، وبصيغة الجمع مرتين، وذلك في سياقات متعددة نذكر من ذلك:

1. قال تعالى:{**قَد خَلَت مِن قَبلِكُم سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الَارض فَانظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ**}[55].
2. قال تعالى:{**يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُم وَيَهدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيكُم وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}[56].
3. قال تعالى في سورة {**قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغفَرلَهُم ما قَد سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَد مَضَت سُنَّةُ الَاوَّلِينَ**}[57].
4. قال تعالى:{**وَمَا يَاتِيهِم من رسُولٍ الَّا كَانُوا بِهِ يَستَهزِؤونَ كَذَلِكَ نَسلُكهُ فِي قُلُوبِ المُجرِمِينَ لَا يُومِنُونَ بِهِ وَقَد خَلَت سُنَّةُ الَاوَّلِينَ**}[58].
5. قال تعالى:{**وَإِن كَادُوا لَيَستَفِزُّونَكَ مِن الارضِ لِيُخرِجُوكَ منهَا وَإِذًا لا يَلبَثُونَ خَلفَكَ الَّا قَلِيلا سُنَّةَ مَن قَد ارسَلنَا قَبلَكَ من رسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحوِيلًا**}[59].
6. قال تعالى:{**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُومِنُوا إِذ جَاءَهُم الهُدَى وَيَستغفِرُوا رَبَّهُم الَّا أَن تَاتِيَهُم سُنَّةُ الَاوَّلِينَ أو يَاتِيَهُم العَذَابُ قِبَلًا**}[60].
7. قال تعالى:{**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيءِ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ الله لَهُ سُنَّةُ الله فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبل وَكَانَ أمرُ الله قَدَرًا مقدُورًا**}[61]،وقال أيضا-في نفس السورة في شأن المنافقين-:{**ملعُونِينَ أَينَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقتِيلًا سُنَّةُ الله فِي الَّذِينَ خَلَوا من قَبل وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبدِيلًا**}[62].
8. قال تعالى:{ **فَهَل يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الاوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحوِيلًا**}[63].
9. قال تعالى:{**فَلَم يَكُن ينفَعُهُم إِيمَانُهُم لمَّا رَأَوا بَأسَنَا سُنَّةُ الله الَّتِي قَد خَلَت فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ**}[64].
10. قال تعالى:{**وَلَو قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوا الادبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةُ الله الَّتِي قَد خَلَت مِن قَبل وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبدِيلًا**}[65].

والملاحظ أنه على الرغم من اختلاف الصيغ والسياقات التي وردت فيها مادة "سنة" في القرآن الكريم فالمدلول العام يندرج في إطار الاعتبار والتبصر، والنظر، والتدبر، والتذكر، بسنن الأمم السابقين، وكذلك سيرة الأنبياء والمرسلين، وأن جل استعمالات كلمة السنة في القرآن الكريم تفيد معنى واحدًا وهو الطريقة والقانون، وإن تشعبت تصريفاتها من حيث الإفراد والجمع.

والملاحظ أيضا أن ورود إضافة لفظ "السنة" إلى لفظ الجلالة إضافة حقيقية فيه تنبيه إلى أنها من صنع الله وإرادته، وهذا ما يجعل من هذه الإضافة واسطة العقد في المباحث السننية القرآنية كلها..؛ ولذلك ما فتئ القرآن يؤكد المرة بعد الأخرى مصدرية هذه السنن؛ فكرر إضافتها إلى الله تعالى في تسعة مواطن[66].

والملاحظ أيضا أن ورود كلمة السنة برسم التاء المفتوحة {**سَنَّتَ الله**} مرة واحدة، و{**لِسُنَّتِ الله**} مرتين، و{**سُنَّتَ الاوَّلِين**} مرتين في خمسة مواضع في القرآن الكريم تفيد ظهور آثارها الفورية في الوجود، ومنها ورود السنة مربوطة التاء في خمسة مواضع؛ حيث تكون بمعنى الإهلاك، والانتقام الذي في الوجود[67].

وحيث نجد السنن مضافة في القرآن الكريم إلى الأنبياء والسابقين، فإنها تفيد بأنها وليدة فعل الإنسان في الواقع الموضوعي، فهو القادر على تحريك الفعل النشط في السنة باتجاه الفعل الإنساني خيرا كان أو شرا[68]،فالسنن سنن الله، ولكن الذي يستجليها هو الفعل البشري ؛بمعنى أن المسؤولية هنا بشرية[69].

وغالب ورود هذه اللفظة كان في القرآن المكي مع أنها ظلّت مصاحبة للقرآن المدني الذي يغلب عليه جانب الأحكام العملية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن استيعاب السنن الربانية شرط أساسي لتطبيق هذه الأحكام، وتنزيلها على واقع الناس، فالتعامل مع الأحكام الفقهية بعيدا عن هذه السنن إنما يعود عليها بالنقص أو التعطيل[70].

2.السنن الإلهية وفقه الحضارة الإسلامية:

سنتطرق في هذا المطلب إلى عرض منظومة السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم، والتي لها علاقة بالتأصيل لفقه البناء الحضاري للأمة، أو ما يسمى "فقه الحضارة الإسلامية" ،ثم نختم بإيراد أهمية دراسة هذا النوع من الفقه الحضاري؛ وذلك من خلال الفرعين التاليين:

أ- منظومة السنن الإلهية المتعلقة بالبناء الحضاري:

القرآن جسم واحد، وعضو واحد، والله سبحانه قد نفى أن يكون القرآن مفرقا مجزءا، وقد سخر من أولئك الذين جعلوه أجزاء متفرقة ،كما قال تعالى: :{**الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ**}[71]؛وعضين أي أجزاء متفرقة[72].

وإذا نظرنا إلى هذا الكون الفسيح وجدنا أن كل شيء فيه خاضع لـ"قوانين الخلق الرباني"، وأنظمته التي أراد الله لكونه أن يسير عليها ؛فما من شيء يستطيع أن يتحرر من أنظمة الخلق الرباني وقوانينه قيد شعرة ؛لأنه مسيَّر بالقهر، دون أن يكون له إرادة أو اختيار[73].

والسنن الإلهية سنن بالغة الدقة والاتساع، وإنها من الكثرة بحيث لا يحصيها العد؛ وهي تلك التي يعبر عنها القرآن بالكلمات[74] في قوله عز وجل: {**قُل لَو كَانَ البَحرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَو جِئنَا بِمِثلِهِ مَدَدًا**}[75]،أما القوانين التي يعامل الله الإنسان في الدنيا على أساسها، فمعدودة ومحصورة؛ إذ إنها تهيمن على تقلبات الإنسان ضمن حياته الدنيوية المحدودة، فكان لا بد أن تكون هي الأخرى محدودة لاحقة بمحدوديته[76].

وسوف أقتصر في حديثي هنا عن السنن التي لها دور في التمكين الحضاري للأمة الإسلامية-في نظرنا-،والتي تلعب الدور المباشر في النهوض الحضاري المنشود،ومن أهم تلك القوانين، أو السنن:

1. **سنة التدافع الحضاري**: وهي سنة ثابتة ومطردة حكمت كل المجتمعات البشرية، وتجلت في شتى مناحي الحياة والأحياء، وهذه السنة ماثلة في قوله تعالى: {**وَلَوْلَا دِفَاعُ الله النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لفَسَدَتِ الارضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ**}[77]،فهذه سنة عامة لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس الذي يقتضي المدافعة، والمغالبة.. وقد سمي هذا دفعا على قراءة الجمهور؛ باعتبار أنه منه سبحانه إذ كان سنة من سننه في الاجتماع البشري، وسماه دفاعا-في قراءة نافع-باعتبار أن كلا من أهل الحق المصلحين، وأهل الباطل المفسدين يقاوم الآخر ويقاتله..، فهذا إرشاد إلى تنازع البقاء، والدفاع عن الحق،وأنه ينتهي ببقاء الأمثل، وحفظ الأفضل[78]،فلا جرم لولا دفاع الناس؛ بأن يدفع صالحهم المفسدين ؛لأسرع ذلك في فساد حالهم، ولعمَّ الفساد أمورهم في أسرع وقت[79].

وعلى قراءة جمهور القراء "دَفعُ" فإنها إضافته إلى الله مجاز عقلي ؛كما هو في قوله تعالى:{**إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا**}[80]؛أي يدفع؛ لأن الذي يدفع حقيقة هو الذي يباشر الدفع في متعارف الناس، وإنما أسند إلى الله؛ لأنه الذي قدره، وقدر أسبابه[81]،ونظير هذه القاعدة، أو السنة قوله تعالى:{**كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمكُثُ فِي الارض كَذلكَ يَضرِبُ الله الامثَالَ**}[82]،وقال:{**وَلَوْلا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**}[83].

والتدافع بين أصحاب الحق، وأصحاب الباطل أمر لا بد منه، وحتمي؛ لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان؛ لأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر، وطرده، ودفعه، وإزالته، أو في الأقل إضعافه، ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة[84].

والإسلام يرفض فكرة الواحدية، والمركزية الحضارية، بانحيازه إلى "فلسفة التعددية" ككونية؛ فالواحدية هي فقط للذات الإلهية، وما عدا الله سبحانه وتعالى يقوم على التعدد، والتساند، والتوازن، والارتفاق، يرى الإسلام هذه التعددية السنة الإلهية، والقانون الكوني الذي لا تبديل له، ولا تحويل في الشعوب، والأمم، والقبائل، وفي الألسنة، واللغات، والقوميات، وفي الشرائع، والملل، والنحل، وفي المناهج، والثقافات، والحضارات؛ فالتعددية هي الأصل والقاعدة والقانون، والعالم يجب أن يكون "منتدى حضارات"، لا حضارة واحدة تصارع، وتصرع غيرها من الحضارات[85].

والبديل الإسلامي لصراع الحضارات ليس حالة "السكون" في علاقات الحضارات بعضها بالبعض الآخر؛ لأن في السكون مواتا، ربما أفضى إلى التبعية والتقليد، اللذين ينتهيان إلى الواحدية، والمركزية الحضارية، وإنما البديل الإسلامي لفلسفة الصراع، هو "فلسفة التدافع" بين الحضارات، وهذا التدافع هو حراك اجتماعي، وثقافي، وحضاري؛ أي تنافس، وتسابق بين الحضارات..، ففلسفة التدافع هي دين ثابت، ومنهاج بلوره الوحي الإلهي في القرآن الكريم، باعتباره سنة من سنن الله في الاجتماع الإنساني، حاكمة للعلاقات بين الأفكار، والشرائع، والملل، والأقوام، والحضارات[86].

ويمكن النظر إلى فكرة ختم النبوة من جانب آخر على أنها فكرة تعلن انتهاء الدورات الحضارية؛ فالحضارات كانت تسير وفق الدورات؛ أي تولد ضعيفة، ثم تقوى وتشتد، ثم تضعف وتزول..، و الميزة الأخرى لمحمد-صلى الله عليه وسلم-أنه للناس كافة، وهذه فيها فكرة عالمية الحضارة، وانتهاء زمن تعدد الحضارات، وإن كنا لا نزال نعيش دورة الحضارة وتعددها، إلا أن إرهاصات زوالها بدأت تبرز لمن تأمل..، فالعالم يسير بخطى حثيثة إلى العالمية يوما بعد يوم، مدفوعا غير

مختار، والزبد يذهب جفاء، وما ينفع الناس سيبقى، وسيفهم الناس في المستقبل هذه الأمور تحت أشعة أضواء معينة، وإن كانت تحت غبار الأنقاض[87].

2. **سنة التداول الحضاري**:

هي تلك القوانين المطردة والثابتة التي تحكم حركة الحياة وحركة التاريخ التي تتمثل في مسألة التعاقب والتناوب الحضاري مصداقا لقوله تعالى: {**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس**}[88]،وسنة التداول الحضاري هي السنة الأساس لباقي السنن الإلهية في خلقه.

ولهذا قيل:الدهر يومان؛يوم لك،ويوم عليك، وقيل: دوام الحال من المحال؛فالأحوال تتبدل، والدنيا تتحول،والعالم يتغير،وكم من غني افتقر،ومن فقير اغتنى،وكم من عزيز ذل،وذليل عز،وكم من موسر أعسر،ومن موسر أيسر، وقد قال تعالى:{**فإن مع العسر يسرا.إن مع العسر يسرا**}[89]،وقال تعالى:{**سيجعل الله بعد عسر يسرا**}[90]،ومن نظر في أحوال الأمم عبر التاريخ يجد شعلة الحضارة تنتقل من أمة إلى أمة،ومن يد إلى أخرى[91].

ولقد آمن كثير من المؤرخين وفلاسفة الحضارة بظاهرة التعاقب الحضاري حتى غدت عندهم حقيقة ثابتة لا مراء فيها، والحق أنها قاعدة يجب أن تكون متفقا عليها، وهي سنة الله في خلقه، وهذا أمر ثابت منذ كان للحضارة وجود، وإلا لكانت الإنسانية عرفت حضارة واحدة، فظلت قائمة منذ الأزل إلى ما شاء الله، ثم عاشت الإنسانية في ظلام، فتعاقب الحضارات والأمم والتبدل بين القوة والضعف على مسرح التاريخ، شاهد على سنة الله في خلقه[92].

وقد أخذ الغرب الزمام،وكانت له القيادة مرة أخرى،ولكنه لم يرع أمانة هذه القيادة،بل أفلس في ميدان الروح والأخلاق، وفرط في العدل،وأعلى القوة على الحق،والمصالح على القيم،والمادة على الروح، والجماد على الإنسان،وكال بمكيالين في التعامل مع القضايا البشرية،فكان من سنة الله أن نتنقل الشعلة إلى غيره،والمفروض-حسب استقراء التاريخ-أن تعود إلى الشرق مرة أخرى،الشرق الذي يملك رسالة غير رسالة الغرب،وهو الشرق الإسلامي،فعليه أن يتهيأ لذلك،ويعد له العدة[93]،كما قال تعالى:{**عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**}[94]،{**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**}[95]..،وستبقى سنة التداول ماضية في الأرض إلى يوم القيامة؛لأنها مشيئة ربانية يجري بها قدر الله في الأرض،أيا كانت الأسباب والملابسات[96]

3. **سنة السببية**:

دل القرآن الكريم على أن كل شيء يحدث بسبب؛سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد،أو بالنبات، أو بالحيوان،أو بالإنسان..،فقانون السببية؛أي ربط المسبَّبات بأسبابها،والنتائج بمقدماتها، قانون عام شامل لكل ما في العالم..[97]،فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب،والله خالق الأسباب والمسببات[98]؛فمن الأسباب المادية قوله تعالى:{**وَأنزَلَ من السَّمَاءِ مَاءً فَأخرَجَ بِهِ من الثَّمَرَاتِ رِزقًا لَكُم**}[99]،ومن الأسباب المعنوية قوله تعالى:{**إن تتَّقُوا الله يَجعَل لكُم فُرقَانًا**}[100].

وسنة الله في الأسباب تشغل مساحة كبيرة جدا من سننه الأخرى،وقد لا يكون من الغلو أن يقال:إن السنن الأخرى تقوم على سنته تعالى في الأسباب بصورة مباشرة،أو غير مباشرة،حتى لتبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سنة الله في الأسباب، وليست سننا مستقلة،وإنما أفردت بالذكر للفت النظر إليها لمعنى خاص بها[101].

قال ابن تيمية:وما قدره الله،وقضاه،وعلمه من أحوال العباد،وعواقبهم،فإنما قدره بأسباب تقع فيقع ما ارتبط بها من مسبَّبات،فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب،والله خالق الأسباب والمسبَّبات[102].

وقد يعسر على الكثيرين الإحاطة بها تفصيلا،ولكن مع هذا العسر يمكن للمتأمل الفاحص الدقيق أن يعرفها، ويحيط بها علما،كما يمكنه الجزم بحصول نتائج معينة بناء على أسباب معينة،وإن لم يمكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج؛فنستطيع مثلا أن نحكم على وجه الجزم واليقين بزوال حكم أو سلطان إذا وجدناه قائما على الظلم والإرهاب،وإن كنا لا نستطيع تحديد وقت زواله على وجه الدقة والضبط،كما نحدد ميعاد غروب الشمس،أو شروقها[103].

إن أبرز مظاهر دلالة هذا الكون على وجود الخالق عز وجل،إنما هو مظهر التناسق،والانسجام فيه،وليس معنى التناسق والانسجام فيه شيئا غير ظاهرة السببية،والعلية الشائعة،والسارية في كل صورة وأجزائه[104]؛فالله قد جعل لكل شيء سببًا، وأمر العباد بتلمس تلك الأسباب حتى يطرقوا سنن الله في ملكوته فتتحقق لهم النصرة والغلبة،فأيما أمة قرعت الأسباب من بابها، وتلمست ما كتب الله على الكون من سنن كُتبت لها السيادة الحضارية[105].

ومن ضرورات الاستفادة من هذه السنة في التغيير أن نفهم منها أن الله عز وجل إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه التي يقع بها،وأمر التهيئة هذا منتظم في كل ما يقدر الله عز وجل وقوعه، مما حدا بنا أن نسميه بـ(**قانون التهيئة**)؛وذلك لأن الله تعالى جعل نظام هذا الكون مبنيا على سنن لا تنخرم،وقوانين لا تنخرق إلا بمشيته سبحانه وتعالى، كما هو الشأن في المعجزات، وخوارق العادات ، وهو استثناء من القاعدة التي قام عليها الكون من اعتبار الأسباب حقيقة في الوصول إلى مسبباتها ، وقد قيل: إذا أراد الله أمرا يسر أسبابه[106].

ويقينا إذا علم المسلم أن النتائج رهينة بالمقدمات والأسباب بالمسببات، سيعلم أن هذا الكون منضبط تحت نظام قائم على سنن ثابتة ومطردة، تسير وفق تدبير إلهي ومشيئة ربانية، تضمن السعادة والطمأنينة لمن استفاد استفادة عادلة وواعية من حكم الله وسننه في خلقه.

4. **سنة التسخير**:

قال تعالى:{**وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الارضِ جَمِيعًا مِنهُ إنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**}[107]؛هذه الآية من المقامات المحمودة التي رفع الله الإنسان إليها،ومن درجات التَّكريم التي وهبها إياه حين قال:{**وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ**}[108]؛ففي هذه الآية مكانة الإنسان الحقيقية،أو كما يقول إقبال:"مقام النيابة الإلهية"؛فإن كان ما في السماوات والأرض جميعا مسخرا لخدمة الإنسان،فإن نائب الحق-الإنسان-يأمر هذه الأشياء فتطيعه حين يحقق شروطها[109]،ثم إن هذه المسخَّرات تنقسم إلى قسمين[110]:

الأول: قسم ينهض بخدمة الإنسان،وتحقيق مصالحه دون حاجة إلى أي جهد يبذله الإنسان؛من ذلك حركة الأفلاك، ودوران الأرض،وهبوب الرياح،والنمو الذاتي للنبات،والأشجار التي تفيض بها الغابات.

الثاني: قسم مُهيَّأ ومُعدّ لاستخدام الإنسان له طبق مصالحه المختلفة المتطورة،ولكن فائدته العملية للإنسان متوقفة على أن يُقبل إلى هذا القسم بالاستخراج،أو التصنيع،أو التشغيل،أو التطوير.

وشرط التسخير مقرر في سورة الإسراء بأن من يريد العاجلة فقط (النجاح في الدنيا) يعجل الله له ما يشاء، حسب إتباعه لسنن الكون،وكذلك من أراد الآخرة،وسعى لها سعيها (على سننها) كان سعيه مشكورا[111]،ثم يقول تعالى:{**كُلًّا نُمِدُّ هؤلاءِ وَهَؤُلاء مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحظُورًا**}[112].

وإن أهداف الحضارة اليوم تناقض أهداف القرآن؛لأنها لا تليق بالإنسان،ولا تحقق إنسانيته؛فمثلا يعلن القرآن بالوضوح ،والصراحة الكاملة أن كثرة الأموال والأولاد ليست هي التي تقرب من الله:{**ومَا أموَالُكُم وَلا أَولادُكُم بالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِندَنَا زُلفَى**}،ويسفه قول القائل:{**أنَا أكثَرُ مِنكَ مَالًا وأعَزُّ نَفَرًا**}؛والمال والنفر في هذه الآية يقابلان الجانب الاقتصادي والعسكري،وإلى يومنا هذا نقدر درجة تقدم الحضارة بمقدار الدخل السنوي للفرد،ونصيبه من الحاجات الأساسية والكمالية،ولكن الرقي الحقيقي (التقوى) ..،ونحن نقول ما قاله محمد إقبال:ليس القصد أن لا يملك الإنسان الدنيا،ولكن لا تملك الدنيا الإنسان؛أي أن لا تتحول الوسائل إلى أهداف[113].

وما يريد القرآن أن يعلمه للبشر في تفسير ما يحل بهم حين يلح في إظهار أن مرد المشكلة إلى ما بالنفس،وليس من الظلم الذي يحيق بالإنسان من الخارج،بل من الظلم الذي ينزله الإنسان بنفسه،وهذا هو لب التاريخ،وسنة الاجتماع الذي يقرره القرآن،وبإغفاله تظلم الحياة،وتنشأ الفلسفات المتشائمة الخانعة،أو الفلسفات المتسلطة المارقة،ومن أكبر الظلم الذي ينزله الإنسان بنفسه أن لا يرى العلاقة التسخيرية الموجودة بين الإنسان،والكون،والمجتمع "الآفاق والأنفس"؛ فيهمل نفسه،ولا يضعها في المكان الذي يسخر الآفاق والأنفس على أساس السنن المودعة فيهما[114].

ولكن الحضارة ليست كالإنسان الفرد؛يتعرض لتحلل حياته العضوية،ولكن الحضارة تحللها فكري نفسي،وهذا قابل للعلاج،والزيادة،والنمو إذا عرف الإنسان سننه،ومثل ذلك الأرض الزراعية كانت تتكون سابقا تلقائيا،ثم تفقد صلاحيتها،ولكن دخل جهد الإنسان التسخيري الواعي،حول الأراضي غير الصالحة إلى صالحة،وجعل الصالحة تستمر في الصلاح،فهذا فرق بين ما يحدث تلقائيا،وبين ما يحدث تسخيريا[115].

ولولا ثبات هذه السنن على هذه الشاكلة لما أمكن للبشر أن يسخروها،أو يستفيدوا منها،وما كان استخلاف البشر في الأرض ممكنا،إذ كيف يمكنوا أن يستخلفوا في عالم هلامي لا يثبت على حال؟ وكيف يمكن أن يسخروا في هذا العالم الذي لا يحكمه قانون،ولا تضبطه سنة[116].

5. **سنة تقدير المخلوقات:**

وإليها الإشارة في قوله تعالى:{**وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَقَدَّرَهُ تَقدِيرًا**}[117]؛وفي الآية معنيين هامين؛أولهما أن الله خالق كل شيء،وثانيهما أن الله تعالى قدَّر كل شيء؛وذلك سنته في خلقه[118]؛أي أوجد كل شيء على ما اقتضته حكمته البالغة؛وهي إعداد كل مخلوق لما أريد به،وإعطائه من الخصائص والأفعال التي تليق به[119]،ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى:{**إنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ**}[120].

6. **سنة التوازن الكوني:**

وردت آيات عديدة تأمر بإقامة الوزن والميزان،والقسط،والعدل،وكان في بعض تلك الآيات إشارة إلى أن هذا الكون قائم على التوازن[121]؛ كما في قوله تعالى:{**والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**}[122]،وقوله تعالى:{**ووضع الميزان..**}[123].

7. **سنة الحيادية:**

من السنن العامة أن الله يعطي على الجهد في الدنيا للمؤمنين والكافرين سواء على قدر ما يبذلونه من الجهد بالطريقة الصحيحة، قال تعالى:{**كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**}[124]،والحكمة من ذلك ابتلاء الأعمال؛فهو سبحانه لم يخص فريقا منهم بالعطاء دون فريق؛لأن سنة الابتلاء عندئذ تنتفي،بينما هي من

الغايات الرئيسة في خلق الإنسان؛قال تعالى:{**إنَّا جعلنَا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايُّهم أحسنُ عَمَلًا**}[125]..،فالابتلاء هو لب حياة الإنسان،وهو الذي يجعل لحياته معنى،ولوجوده غاية[126].

لقد ظن المسلمون أن الزمان سوف ينتظرهم،وأن شعوب الأرض لن تتقدم حتى يتقدموا،وبقوا على تلك الحال ردحا من الزمن،فخاب ظنهم،ثم أفاقوا فوجدوا أنفسهم في ذيل الركب الحضاري،وكأنهم جهلوا،أو نسوا أن عطاءات الله الكونية عامة لكل البشر؛كل من يبذل جهدا،ويأخذ بأسباب الكون،يجد النتيجة المرجوة؛لأن الله تعالى خلق الكون،وما فيه لجميع البشر،لا المؤمنين به خاصة[127].

وأمامنا تجارب القرون الماضية، تجارب كثيرة تظهر فيها سنن الأقوام التي يخضع لها المسلمون أيضًا كأي قوم من الأقوام، وهذا النظر القرآني يجرد الإنسان من ملابساته ويرجعه إلى أصله المجرد الذي يخضع للسنن. فهذه السنن سنن عامة تنطبق على البشر جميعًا، وليست خاصة بطائفة دون طائفة ولا لجيل دون جيل[128]،والذي يؤكد عمومية الموضوع أن الله تعالى يقول للرسول-عليه السلام-:{**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَى وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**}[129].

8. **سنة الاختلاف:**

من القوانين والسنن سنة الاختلاف؛فمن حاول أن يجعل الناس أمة واحدة؛فقد حاول المحال،ومرده إلى الفشل، قال تعالى:{**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**}[130].

9. **سنة التمكين (الاستخلاف الحضاري):**

ومن السنن الربانية التي ينبغي التركيز عليها من العالم المسلم مايختص منها بقيام الدول وزوالها، وهي أسباب مهمة وجوهرية، وقد أشار ربنا في محكم تنزيله إلى هذه الأسباب،من هذه السنن أن الاستخلاف في الأرض يكون بالإيمان والعمل الصالح[131]، قال تعالى:{**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون**}[132].

والوظيفة التي يحملها القرآن للإنسان إنما هي عمارة الأرض بمعناها الشامل العام،وهي تشمل فيما تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم،وإنشاء حضارة إنسانية شاملة؛ليكون الإنسان بذلك مظهرا لعدالة الله وحكمه في الأرض،لا بالقسر والإجبار،بل بالتعليم والاختيار[133]،ومن الآيات الدالة على مهمة الإنسان في الأرض قوله تعالى:{**هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها**}[134]،وقوله تعالى:{**ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**}[135]،وقوله تعالى:{**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أنَّ الارض يرثها عبادي الصَّالحون**}[136].

وإن الاستمساك بالإيمان القوي واق من الهزيمة ومما تورثه من الوهن والحزن، وداع إلى الاستعلاء وعدم السقوط والمعاودة للشهود الحضاري بعد الانكسار وهذا ما تؤكده آيات كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى:{**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** }[137]،وقوله تعالى:{**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**}[138]،وقوله تعالى:{**لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**}[139]،وقوله تعالى:{**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**}[140].

ولا يكفي الإنسان أن يأخذ بأسباب النصر دون ربط ذلك بالإيمان القوي والتقوى لأن في الربط بين الإيمان وأسباب النصر هو الطريق المأمول إلى النصر المحقق. والمقصود هنا بالنصر مفهومه الواسع الذي يتجلى في الأخذ بأسباب الحياة المقرونة بالإيمان الحق، لقوله تعالى:**{ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض}**[141].

وتجدر الإضارة إلى أن كل من المؤمنين والكفار ممكَّنون،ولكن كل منهما ممكَّن لأسباب مختلفة عن الآخر؛ فللمؤمنين تمكين الرضا،وللكافرين تمكين الاستدراج،ويختص المؤمنون-في تمكينهم- بصفتين لا تنالان الكفار أبدا؛وهما البركة والطمأنينة؛قال تعالى:**{ولو انَّ أهل القرى ءامنوا واتَّقوا لفتحنا عليهم بركات من السَّماء والارض}**[142]،وقال تعالى:**{الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب}**[143]،بينما الكفار -رغم تمكينهم- محرومون من البركة والطمأنينة؛يعيشون معيشة ضنكا،ولو حصلوا على الرفاهية المادية، ويتمتعون-حين يتمتعون- متاع الأنعام[144]؛قال تعالى:**{ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكا}**[145]،وقال تعالى:**{الذين كفروا يتمتَّعون وَيَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ الَانعَام}**[146].

وسنن التمكين مبثوثة في آيات القرآن الكريم،ولابد أن تفهم الأمة الإسلامية السنن الإلهية في فقه التمكين، وتتعرف على لوازم هذا التمكين، لكي ترسم أهدافها، وتسعى لتحقيق مآربها وفق السنن الإلهية الجارية على الشعوب والأمم والمجتمعات؛ إذ إن هذا العالم لا يسير جزافا[147].

10. **سنة هلاك الأمم (الكفروالمعاصي):**

انتهاء الحضارات ما هي إلا نتيجة حتمية للكفر والذنوب، والفسق، والظلم، والمعاصي، هذه سنة الله في خلقه، وقال تعالى:**{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}**[148]، ونهاية الظلم وشيكة، وعاقبته وخيمة، فهومنذر بزوال العمران،قال تعالى:**{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ}**[149]، وغيرها من الآيات.

ومن المعروف أن الباطل لا يملك أدوات الاستمرار والتمكين في الأرض باعتباره لا يملك الميزان والضابط الذي ينجيه من الانحراف، والغرور، والمعاصي، وكلها مهلكات،..فالأخطاء المتراكمة هي السبب الحقيقي الذي يدمر الحضارة ويوقف دورانها، ويأذن لغيرها بالقيادة، حتى تموت الأمم وتسقط الحضارات من داخلها قبل أن يسقطها أعداؤها[150].

ثم إن غياب العدل وتفشي الظلم ينتج عنه الخراب وانقراض الحضارات، قال تعالى: **{وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا}**[151]؛فالإعراض عن الشريعة الإسلامية والإيمان الحق إيذان بظهور الفساد وزوال العمران، ومن ثمة فالتزام الإيمان والتقوى هو ضمان استمرار واستقرار المجتمع الإنساني وهذا ماثل في آيات كثيرة من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى:**{وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا}**[152]،وقال تعالى:**{وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. ذكرى وما كنا ظالمين}**[153].وقال تعالى:**{ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرار وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين}**[154].

11. **سنة التدرج في الإصلاح:**

هو سنة كونية،وسنة شرعية أيضا،؛ ولهذا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، وكان قادرا أن يقول:كوني، فتكون، ولكنه خلقها في أيام ستة من أيام الله تعالى؛أي في ستة أطوار،أو أزمنة يعلمها الله، فليست هي أيامنا هذه..ونهار،وكذلك نرى خلق الإنسان،والحيوان،والنبات،كلها تندرج في مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها،فهذا من

الناحية الكونية،وأما من الناحية الشرعية،فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد،وتثبيت العقيدة السليمة،ثم كان التشريع شيئا فشيئا،فرضت الفرائض،وحرمت المحرمات بالتدريج،كما هو ثابت في فرض الصلاة،والصيام،والزكاة،وتحريم الخمر وغيرها،ولهذا افترق القرآن المكي عن القرآن المدني[155] .

ومن هنا كان على الذين يدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية،وإقامة دولة الإسلام في الأرض،ن يراعوا سنة التدرج في تحقيق ما يريدون من أهداف،آخذين في الاعتبار سمو الهدف،ومبلغ الإمكانات،وكثرة المعوقات.

إن إعمال هذه السنة الإلهية الكونية في ميدان الإصلاح والتغيير للواقع الإسلامي الراهن الذي أفسد التغريب الكثير من ونواحي فكره،وثقافته،وإعلامه،ومنظومة قيمه،لا بد وأن يعنى بسلوك طريق التدرج في هذا التغيير المنشود[156] .

ولعلَّ رعاية الإسلام للتدرُّج هي الَّتي جعلته لا يُقدم على إلغاء نظام الرِّقِّ الذي كان نظاماً سائداً في العالم كلِّه عند ظهور الإسلام، وكانت محاولة إلغائه تؤدِّي إلى زلزلةٍ في الحياة الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة. فكانت الحكمة في تضييق روافده؛ بل ردمها كلِّها ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد،فيكون ذلك بمثابة إلغاء الرِّق بطريق التَّدرُّج[157] .

12. **سنة الأجل المسمى**:

هي سنة متممة للسنة السابقة؛معناها أن لكل شيء أجلا مسمى يبلغ فيه نضجه،أو كماله،وهذا ينطبق على الماديات،والمعنويات،فلا ينبغي أن يستعجل الشيء قبل أن يبلغ أجله المقدر لمثله،فإن الزرع إذا حصد قبل إبانه،والثمر إذا قطف قبل أوانه،لا ينتفع به النفع المرجو،بل قد يضر،ولا ينفع..،فبعض الأعمال الكبيرة لا تقطف ثمارها إلا بعد عقود من السنين،وكلما كان العمل عظيما؛كانت ثمرته أبطأ،كما قيل:أبطأ الدلاء فيضا أملؤها،وقد يبدأ جيل عملا تأسيسيا ذا شأن،فلا يستفيد إلا منه الجيل الثاني،أو الثالث،أو ما بعد ذلك،ولا ضير في هذا ما دام كل شيء يسير في خطه المعلوم،وطريقه المرسوم[158] .

وقد كان المشركون في مكة يسخرون من دعوة النبي-صلى الله عليه وسلم-..،فكانوا يستعجلو العذاب الذي خوفهم به،جاهلين أن لكل شيء موعدا لن يخلفه:{**ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون**}[159]؛ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يصبر على قومه،كما صبر إخوانه أولو العزم من الرسل من قبل،ولا يستعجل لهم العذاب كما يستعجلون:{**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم**}[160]..،ولا يعجل الله بعجلة أحد من خلقه؛ولأجل ذلك كان النبي-عليه السلام-يوصي أصحابه بالصبر،ويربيهم عليه، وألا يستعجلوا النصر قبل أوانه[161] .

13. **سنة التغيير**:

التي قررها القرآن الكريم في أكثر من آية؛فالذين يتغيرون من الخير إلى الشر،ومن الاستقامة إلى الانحراف،ومن الصلاح إلى الفساد،ومن البصيرة إلى العمى،يغير الله ما بهم من حال النعمة إلى النقمة،ومن القوة إلى الضعف،ومن العزة إلى الذل،ومن الرخاء إلى الشدة،وهذا ما ذكره القرآن في سورة الأنفال بعد أن ذكر مصير آل فرعون،والذين من قبلهم؛الذين كفروا بآيات الله،فأخذهم الله بذنوبهم[162]،وقال عز من قائل-:{**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم**}[163]،وهذا ما تشير إليه الآية الأخرى من سورة الرعد:{**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}[164] .

إن التغيير المنشود،والمرغوب فيه من الواقع السيئ إلى الحياة الصحيحة لا يتم إلا بتغيير ما بالأنفس، إننا بمقدار ما نريد،ونسعى إلى تغيير واقعنا السيئ الذي نعلم أنه سيء،فإننا نتمسك بنفس الشدة بما في أنفسنا،ولا نعلم،ولا يخطر ببالنا أبدا أن ما بأنفسنا يتصف بالسوء نفسه،وبالفضيحة نفسها التي يتصف بها واقعنا[165].

المنهج الإسلامي منهج تغيير،ولا يقبل أن يتعايش مع الواقع الفاسد،بكل أنواع الفساد:فساد العقدية،وفساد الأخلاق،وفساد القيم،وفساد العلاقات،وفساد القوانين المنظمة لحياة المجتمع،وحينما تحدث الله عن التغيير،بيَّن-سبحانه- أن التغيير هنا تغيير اجتماعي لا فردي؛وهي سنة عامة في كل المجتمعات[166].

وتغيير القوم،وتغيير الله لا بد من توفرهما جميعا؛ليتحقق التغيير،كما لا بد من أسبقية التغيير الذي يحدثه القوم،إلا أن بين هذين التغييرين ترابطا؛فإذا وقع التغيير الذي يخلقه الله؛دل ذلك قطعا على أن التغيير الذي يقوم به القوم قد سبق أن حدث؛لأن الله تعالى اشترط هذه الأسبقية..،ولكن علينا أن ننتبه إلى أن هذا التعهد إنما هو في مجال القوم-أي الجماعة أو المجتمع-لا في مجال الفرد،وفي مجال الدنيا لا في مجال الآخرة،كما أنه لا يلزم أن يحدث التغيير للفرد الواحد إن غيَّر ما بنفسه،وإن كان يمكن أن يحدث ذلك في بعض الأمور الخاصة مثل السلوك الفردي،وعلى كل فإن هذا الوعد،أو هذه السنة في هذه الآية سنة اجتماعية،لا سنة فردية[167].

ولا يغير ما يحل بقوم من عذاب ونكال،وإذلال،جزاء ما ارتكبوا من عصيان وآثام،حتى يحدثوا توبة صادقة تنقلهم من حضيض الفساد والفجور إلى آفاق الهدى والإصلاح[168]؛إذ بالبحث في وقائع التاريخ يتأكد لنا أن الله تعالى يعلمنا بهذه الآية،وبآيات القرآن كلها أن التغيير يخضع لسنن ربانية، علينا أن نكتشفها ونوظفها في بنائنا الحضاري بكل مستوياته[169].

هذه الآية وغيرها مما هو من جنسها تجعل المحتوى الداخلي النفسي،والروحي للإنسان هو القاعدة (البناء التحتي) في حين تجعل الوضع الاجتماعي هو البناء العلوي (الفوقي)، ولا يتغير البناء العلوي للمجتمعات إلا بتغير القاعدة، فخارج الإنسان يصنعه داخل الإنسان، نحو الأسوأ أو نحو الأحسن[170].

والتغيير ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية،فهو سبيل بقائها ونموها،فبالتغيير يتهيأ لها التكيف مع واقعها؛وبالتغيير يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها،وعن طريق التغيير تواجه الجماعات متطلبات أفرادها،وحاجاتها المتجددة[171].

والحق أن هناك تناسق ذاتي بين مفردات الخليقة والانتفاع الإنساني؛فالحاجات الإنسانية جزء من بناء الخليقة،ومفردات الخليقة مصممة بقصد أن تخدم تلك الحاجات،كل مكونات الطبيعة ذات استعداد لقبول تأثير الإنسان فيها،ولتحمل التغيير طبقا لتصرفه،والتحول إلى أي شكل يرغب فيه..،فلو كان الإنسان لا يستطيع الاعتماد على الأسباب لإحداث نتائجها،أو كانت الوسائل غير صالحة لتوصل إلى الغايات،لفقد الإنسان اهتمامه بالكون،ولكفَّ عن أي محاولة لتغييره إلى الأنماط التي يجب أن يكون عليها طبقا لوحي الله[172].

وخلاصة القول أنه يجب على المسلمين أن يتخذوا من هذه الآية قانونًا عامًا للتغيير بكل مستوياته، التغيير الروحي، والعلمي، والتقني، والاجتماعي، والأخلاقي، والعسكري، والصحي، والتعليمي .. إلخ، حتى تصل بالأمة إلى هدفها، وهو التمكين لدين الله في الأرض.وبالبحث في وقائع التاريخ يتأكد لنا أن الله تعالى يعلمنا بهذه الآية وبآيات القرآن كلها أن التغيير يخضع لسنن ربانية، علينا أن نكتشفها ونوظفها في بنائنا الحضاري بكل مستوياته[173].

14. **جريان القدر الرباني من خلال أعمال البشر:**

إن فخير،وإن شرا فشر؛من ذلك قوله تعالى:{**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النَّاس**}[174]،وقوله تعالى:{**وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمَّرناها تدميرًا**}[175]،وقوله تعالى:{**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**}[176]،وأهمية إبراز هذه السنة في القرآن الكريم هي ضبط التصور

بالنسبة لما يجري في حياة الناس في الأرض،فلا شيء يجري اعتباطا،ولا يوجد عمل من أعمال الإنسان لا تترتب عليه نتيجة،لا في الآخرة وحدها،وإنما في الحياة الدنيا كذلك[177].

15. **سنة النصر:**

وإليه الإشارة في قوله تعالى:{**إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**}[178]،وقوله تعالى:{**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**}[179]،وقوله تعالى:{**إِن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}[180]؛لنرى بوضوح ملامح قانون النصر، ونرى معه كم أفدنا نحن المسلمين من هذا القانون في إعماله في حياتنا.

16. **سنة الاستبداد السياسي والطغيان الاقتصادي:**

في سورة القصص شرح مستفيض لعواقب الحكم الفردي، والاستبداد السياسي (الفرعونية الحاكمة)،وشرح آخر لعواقب الطغيان الاقتصادي (القارونية الكانزة)،والاغترار بالمال العريض[181]،أوجزه الله تبارك وتعالى في قوله:{**تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**}[182].

17. **سنة التقوى والصبر، وعدم اليأس:**

في سورة يوسف يبرز قانونان جليلان:{**إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**}[183]،والآخر قوله تعالى:{**ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**}[184].

18. **قانون عاقبة الإلحاد المشؤومة:**

في مطلع سورة "محمد" الحاسم في قوله تعالى:{**الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم**}[185]؛ نلمح أن الإلحاد مهما صحبه من علم،مشؤوم النهاية،وأن الكفار والفتانين مهما بلغ ذكاؤهم لا بد أن يحرموا بركات الله،ويواجهوا الفشل والدمار،وأن التعويل إنما يكون على الإيمان والإصلاح[186].

19. **قانون الروحانية والمادية:**

قوله تعالى:{**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**}[187]:إن اضطراب الأعصاب،ومستشفيات الأمراض النفسية،،حوادث الانتحار تملأ أقطار الغرب؛لنضوب هذه الروحانية،وانطلاق الجماهير وراء الماديات لا تدري سواها[188].

20. **أخذ الله عباده بمزيج من الرخاء والشدة:**

قول الله عز وجل:{**ولنبلونَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثَّمرات وبشِّر الصابرين**}[189]،وقوله تعالى:{**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**}[190]..،فيه دليل على أن الشدائد التي يمزجها الله تعالى مع الرخاء في حياة الإنسان،ليست عقوبات عاجلة على معاص قد ارتكبها،وإنما هي سنة ماضية في حق الناس جميعا بمن فيهم الرسل والأنبياء،وسائر المقربين من عباد الله؛لتحقيق المناخ الذي يتاح للمسلم أن يبرز من خلاله عبوديته السلوكية لله-عز وجل-[191].

وحكمة ثانية من هذه السنة الربانية نقرؤها في كتاب الله؛وهي أن الدنيا دار تكليف،وهي ممر إلى مقر،فينبغي أن لا يكون فيها من المبهجات،والنعم،وأسباب المتعة ما يصفو عن المكدرات،والمنغصات،وشوائب الآلام؛كي لا يتعلق بها المارون بها،أولئك الذين قضى الله أن يرحلوا عنها،وأن لا يلبثوا فيها إلا قليلا[192].

21. **العقاب على كل سوء صادر عن طواعية:**

قوله تعالى:{**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به**}[193]:من سنن الله أن يعاقبهم على كل سوء يصدر باختيار وطواعية منهم؛ثم إنه قد يكون في دار الدنيا،وقد يكون يوم القيامة،وما يكون منه في الدنيا هو المصائب التي يصاب بها الجسم،أو النفس[194]،وهذه السنة العامة قد ترد عليها استثناءات خاصة بالتائبين[195] مثل قوله تعالى:{**وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**}[196].

22. **تحقيق ثمرات العاملين في الدنيا:**

ما من أشخاص أو أمة تبذل جهدا ابتغاء الوصول إلى ثمرة منه في الدنيا،إلا وفي سنة الله وقضائه ما يستوجب وصول هذه الأمة،أو هؤلاء الأشخاص أيا كانوا إلى ثمرات جهودهم[197]؛من ذلك قوله تعالى:{**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسُونَ**}[198]،ومنها قوله تعالى:{**من كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**}[199].

إن عوامل الرقي الذي تتمتع المجتمعات الغربية به تتمثل في جهود تاريخية بذلوها،ولا يزالون يبذلونها،وقد علمت أن السنة الربانية تستوجب أن يمتعهم الله بثمرات جهودهم،وأتعابهم،وأما عوامل الرقي التي تبوأت صعيده الأمة العربية والإسلامية في تاريخها الإسلامي الغابر هو وفاء الله بالعهد الذي التزمه تجاهها مقابل وفائها بالعهد الذي ألزمها به[200].

23. **حب العدل والجزاء عليه، وكراهية الظلم والعقاب عليه:**

صرح الله بكراهيته للظلم والظالمين في آيتين من سورة "آل عمران"؛وذلك في قوله تعالى:{**والله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**}[201]،وأمر الناس بالعدل؛من ذلك قوله تعالى:{**إنَّ الله يامُرُ بالعَدلِ**}[202]..،فمن سنة الله في عباده أن يجزي المجتمعات التي يشيع فيها العدل في دار الدنيا،ولو كان أهلها كافرين، وهذه السنة ذاتها تقضي أن يعاقب المجتمعات التي يشيع فيها الظلم فيد ار الدنيا، ولو كان أهلها مسلمين[203].

24. **إكرام المصلحين في الدنيا ولو كانوا كافرين:**

مصدر هذه السنة قوله تعالى:{**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**}[204]؛ومعنى الآية لا يتأتى أن يهلك الله قوما،أو أمة ظالما لها،ما داموا مصلحين في علاقة ما بينهم؛ أي لن يهلكهم بسبب كفرهم ما داموا مصلحين[205]،ومثل هذه الآية في الدلالة ذاتها قول الله تعالى:{**وما كُنَّا مُهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**}[206]،ومثلها قوله تعالى:{**إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين**}[207]؛والظلم المراد هنا نقيض الصلاح والإصلاح.

يقول ابن تيمية: إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة،ولو كانت كافرة،ولا يقيم الدولة الظالمة،ولو كانت مسلمة؛ فالباغي يصرع في الدنيا،وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة؛ وذلك لأن العدل هو نظام كل شيء،فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت،وإن لم يكن لصاحبها عند الله تعالى من خلاق[208].

25. **السكوت عن المنكرات نذير فساد:**

الآيات التي تحذر من السكوت على المنكر،عن الأمر بالمعروف كثيرة،ولعل أشدها قول الله عز وجل:{**لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون**}[209]،وقوله تعالى:{**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس بما كانوا يفسقون**}[210]،على أن أكثر الآيات التي تتحدث عن الأمر بالمعروف،والنهي عن

المنكر في القرآن مصوغة بطريقة الأمر،أو بطريقة الثناء على القائمين بهذه الوظيفة،فلا يتبين معنى السنة (القانون) فيها،ما عدا الآيتين المذكورتين آنفا..،ولقد أشار البيان الإلهي إلى هذه السنة في قوله تعالى:{**واتَّقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّة**}[211]؛وإنما سبب تلك الفتنة السكوت عن المنكر،كما ذكر جمهور المفسرين[212].

26. **سنة الاستدراج والإملاء (الإمهال):**

معنى هذه السنة أن الله لا يقطع رفده ونعمه عن الطغاة والظالمين،بل ربما يزيدهم من ذلك إلى أجل،ولله في ذلك أكثر من حكمة،لعل أهمها أنهم-وقد أبطرتهم النعمة- ينبغي أن يحجبوا من رحمة الله ولطفه،ومن ثم إقصاؤهم من آمال التوبة،والإنابة إلى الله؛وذلك بابتلائهم بالمزيد من أسباب قسوة القلب، والمزيد من عوامل السكر،ونشوة الاستكبار،ومن ذلك يفتح لهم أبواب كل شيء[213].

والكفار يمكَّنون في الأرض رغم عصيانهم-بسنة من سنن الله-،بل قد يزدادون تمكينا كلما زادوا كفرا،إلى أن يأتي أجلهم المقدر لهم في قدر الله،فيدمر عليهم،أما المؤمنون،فلا يمكَّن لهم إلا إذا استقاموا على الطريق[214]؛قال تعالى:{**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**}[215].

ثم إن الآيات التي تتحدث عن هذه السنة الإلهية،وقرار الله بشأنها تنقسم-لدى التأمل فيها- إلى قسمين[216]:

الأول: إمهال مستمر يصاحبهم إلى الموت،ويغلب أن يكون هذا في حق من استمرؤوا الكفر،والجحود بالله، عنادا واستجابة لأهوائهم ورعوناتهم،دون أن يتلبسوا مع ذلك بظلم وطغيان على عباد الله الآمنين البرآء،ومن ذلك قول الله تعالى:{**لا يغرنَّك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبيس المهاد**}[217]،ومنها قول الله تعالى:{**فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهمإنَّ كيدي متين**}[218].

الثاني: إمهال موقوت إلى حين،ويغلب أن يكون هذا النوع الثاني من الإمهال في حق الطغاة الظالمين الذين أضافوا إلى كفرانهم وجحودهم بالله،إمعانهم في الأرض فسادا بالظلم الذي استمرؤوه،وبتسلقهم إلى سدة الطغيان على الآخرين من عباد الله عز وجل،ومن ذلك قول الله تعالى:{**ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب**}[219]،وقوله تعالى:{**وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير**}[220]،ولعل الذي يحجب كثيرا من الناس اليوم عن معنى الاستدراج إذ يأخذ الله به كثيرا من الأفراد والجماعات،طول المدة التي يُستدرجون فيها،فيما يبدو لهم[221].

إن القوانين السابقة نموذج لما يكفل الحضارات،ويحصن الأمم،ودراستها حياة،ونماء للعقائد والأخلاق،ومهما كان الوزن لفروع الفقه،فهذه الأصول أسبق،والعكوف عليها أجدى؛ذلك أنها حقائق،والمقابل لها أباطيل،أو أنها معروف،والمقابل لها منكر[222].

27. **سنة الحق المنصور، والباطل الزاهق:**

من سنن الله أن ينصر الحق،ويزهق الباطل،ولكن لا بد من وجود جنود يؤمنون بالحق وينصرونه،فينصرهم الله،وليس الله سبحانه وتعالى عاجزا عن نصرة الحق بغير الأدوات البشرية، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون،إنما هكذا اقتضت مشيئته،وهكذا تجري سنته[223]؛قال تعالى:{**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض**}[224]،وقال تعالى:{**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم**}[225]..، ولا بد لانتصار الحق من أدوات تتوافر في

أنصاره أهمها أن تكون قلوبهم مؤتلفة؛قال تعالى:{**هو الذي أيَّدك بنصره وبالمومنين وألَّف بين قلوبهم**}[226]،ولا بد أن يكونوا صادقي التوكل على الله؛{**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتَّبعك من المومنين**}[227]،وأن يكونوا قد نذروا أنفسهم لله؛{**إنَّ الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة..**}[228]...؛فلا يأتي القوم خاوين منها،ثم يقولون:انصرنا يا رب لمجرد أنهم مؤمنون[229].

28. **سنة الابتلاء للإنذار والتحذير:**

قد يكون الابتلاء الإلهي لأجل التحذير للأمم والأفراد؛حتى يرجعوا عما هم فيه من المخالفات، ويتوبوا إلى الله عما ارتكبوا من الخطيئات،وقد دلت النصوص على ذلك[230]،ومنه قوله تعالى:{**ولقد ارسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرَّعون**}[231]،وقوله تعالى:{**ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلُّ قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله**}[232].

29. **ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم قبل التمكين:**

هي سنة خاصة يختص الله بها المؤمنين الذين اتجهوا إلى الإيمان، وساروا في طريقه،ولا يجريها بصورتها تلك،ولا لأهدافها تلك على الكافرين[233]؛قال تعالى:{**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتنون ولقد فتنَّا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين**}[234]،وقال تعالى:{**وليُمحِّص الذين ءامنوا ويمحق الكافرين**}[235]،وحمل الأمانة-بعد الانتصار على الباطل- لا يصلح له كل الناس،إنما يحتاج لقوم مختارين،يُعدن له إعدادا خاصا؛ليحسنوا القيام به،وقد علم الله أن الابتلاء هو الوسيلة للتمييز[236]؛تعالى:{**ما كان الله ليذر المومنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**}[237].

30. **إهلاك أكابر الإجرام:**

قوله تعالى:{وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون}[238]؛أي إن سنة الله في الاجتماع البشري قد مضت بأن يكون في كل عاصمة لشعب،أو أمة بعث فيها رسول، أو مصلح؛ رؤساء وزعماء مجرمون يمكرون فيها بالرسل في عهدهم،وبسائر المصلحين من بعدهم[239]؛ولأن المجرمون يخافون من ظهور الحق في المجتمع،وتجمع الناس حوله،فينكشف بهذا الظهور إجرامهم وباطلهم،مما يفقدهم رياستهم ومراكزهم؛ولهذا كان لا بد لهم من معاداة المؤمنين الدعاة إلى الحق في كل زمان ومكان،فهي سنة ماضية وثابتة[240].

31. **سنة الجزاء من جنس العمل:**

من ذلك قوله تعالى:{**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**}[241]؛أي أن عمله سبحانه مع كل ظالم من أي قبيل كان،يجمع بين الأشكال في الأوصاف الباطنة والخصال،ويسلط بعضهم على بعض في الضلال،والأوجاع،والأنكال[242]،ونظير هذه الآية قوله تعالى:{**ولا يحيق المكر الشيء إلا بأهله**}[243]،ونظيره أيضا قوله تعالى:{**من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون**}[244]،وقوله تعالى:{**وجزاء سيِّئةٍ سيِّئةٌ مِثلُهَا**}[245].

وورد في معنى هذه السنة بخصوص المجازاة على العقوبة قوله تعالى:{**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**}[246]،وقوله تعالى في شأن المماثلة في الاعتداء:{**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**}[247]،وفي خصوص عقوبة القصاص قال تعالى:{**يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى**}[248].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تداخلا بين السنن هو السمة،والمظهر البارز في النظام السنني،على اعتبار أنه تداخل في الوظائف، والمهام، والأهداف، والغايات..، فالعلاقة بين مفردات الكون كلها علاقة متداخلة في شبكة من العلاقات الوظيفية الدقيقة[249].

ومن الأزمات البارزة في النظام المعرفي الغربي هو تلك الفوضى في ترتيب سلم السنن الإلهية ووظيفتها..،إذ لا بد أن تظل السنن تخدم بعضها البعض وفق مقاصد الخالق،وخدمة لهذا المخلوق الذي قدر له أن يقود الخلافة في الأرض بهذه السنن[250].

ب- أهمية السنن الإلهية في البناء الحضاري:

ما دامت سنة الله هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم،فإنها تتسم بالثبات والاطراد،والعموم؛ قال تعالى:{**ولن تجد لسنة الله تبديلا**}[251]،وهي مطردة لا تتخلف،ويدل على اطرادها أن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة، وما حل بها؛لنتعظ ونعتبر،ولا نفعل فعلهم؛لئلا يصيبنا ما أصابهم،ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها[252]؛فمن هذه الآيات قوله تعالى:{**فاعتبروا يا أولي الابصار**}[253].

وهي سنن تتصف بالعموم؛أي أنها عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة،ولا تمييز[254]؛قال تعالى:{**أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**}[255]؛أي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم[256].

ولقد كان من النتائج الحتمية لإهمال التأمل في آيات السنن الإلهية في القرآن الكريم،وتطبيقها في الواقع تلك النكبات التي أصابت المسلمين عبر قرون من الزمن،فقذفت بهم إلى ذيل الركب الحضاري بعد أن كانوا رواده وقواده[257].

ويمكن أن نلخص أهمية فقه السنن في التأصيل للبناء الحضاري المنشود في النقاط التالية:

1. ينبغي أن تكون الأمة الإسلامية أمة وسط تعمل على تجسيد وتجديد الوعي بالحقائق الدينية، والتاريخية، والثقافية،والنفسية،والعمرانية للإسلام..،تستوعب خلاصات،وخبرات الوعي الرسالي، والمشروع الحضاري الاستخلافي المنفتح على الزمان،والمكان[258].
2. إلغاء فكرة اللاسننية،والخوارقية،والمحاباة، والمحسوبية عند الله تعالى[259]؛إذ لا بد من القضاء على العقل الخرافي الذي يفسر الوقائع الاجتماعية تفسيرا مضحكا غبيا يقف عائقا أمام حركة الحضارة البشرية، ولن يكون ذلك إلا برفع أسباب الخمود والهمود، والركود والجمود، التي عطلت العقول عن إدراك سنن الله ونواميسه في الكون والمجتمع، والتي أخرجت الأمة المسلمة من تدافع عالم المادة والشهادة والحركة إلى حال من السلب والتواكل، مما أشاع فيها عقيدة الجبر والإرجاء التي انحرفت بركن القضاء والقدر إلى تعطيل قانون السببية تعطيلا كاملا[260].
3. إن عملية البناء الحضاري المقصودة هي التي تدور في إطار المرجعية الإسلامية،وهذه الأخيرة تنبني على الوحي الأعلى (قرآنا وسنة)،ولهذا فمن اللازم ابتداء أن يتفاعل العقل المسلم مع هذا الإطار المرجعي الأم،الذي بدونه تصبح عملية البناء الحضاري لا علاقة لها بالمجتمع الإسلامي،وبالثقافة التوحيدية[261]،فمثلا قد ذكر القرآن (الروم)،وأنزل في شأن حربهم مع الفرس أوائل السورة التي سميت باسمهم (سورة الروم)،ودل ذلك على اهتمام الإسلام المبكر بالأحداث العالمية،وعلاقتها بالوجود الإسلامي،وانتباه الوعي الإسلامي لها،وجداله حولها[262].

4. كل دين يجرد من الحضارة،دين صائر إلى الانقراض،ومصيره الزوال السريع،وكل دين يرضى أهله بهذا الموقف الضعيف المتخاذل؛فيرضون من الدين بالعقيدة،ولا يلحون على مدنية خاصة هي نتاج هذا الدين،ويقتبسون أو يستوردون من مدنية أخرى[263].
5. الحقيقة الواقعة أن هذه الحضارة الحديثة قامت ابتداء على أسس الاتجاهات التجريبية العلمية التي اقتبستها أوربا من الأندلس،ومن الشرق الإسلامي،النابعة ابتداء من التوجيهات القرآنية لتدبر النواميس،واستغلال الطاقات، والمدخرات في الأرض،ومن روح الإسلام الواقعية الإنسانية[264].

إن التصور الإسلامي يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله،اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان،وأودعه الله سبحانه قوانينه التي يتحرك بها،والتي تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها،كما تتناسق بها حركته الكلية سواء[265]،{**وخلق كل شيء فقدَّره تقديرًا**}[266]؛فالحقيقة الاعتقادية الإلهية هي الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية،وإنسان هذه الحضارة بالدين فكَّر،وبالدين تحضَّر،وبالدين أنتج آثار حضارته،وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته،وكذلك استمرت مظاهر الحضارة متصلة في نفسه بالدين،وعوامل الدين فعالة في مظاهر الحضارة[267].

6. إن إعادة بناء مناهج التعامل مع القرآن الكريم كمصدر منهجي ومعرفي للعلوم الاجتماعية،والعلوم الطبيعية سيعود على هذه العلوم كلها بالفوائد التي تجعلها قادرة على إمداد الحياة الإنسانية بما يخرجها من أزماتها،وسيعيد العلاقة بين هذه العلوم والقيم إلى سابق عهدها،ويربطها بمقاصد الحق،وغائية الخلق[268].
7. إن الحل هو في العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة،والثقافة المتألقة..،إنه عودة الروح الدينية لتصوغ النهضة الحضارية المتميزة والمستقلة..،وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة:"لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[269].
8. إن الدعوة إلى "حضارة عربية إسلامية متميزة" لا يعني تقديس الماضي،ولا العودة إليه كي نعيش في قوالبه..، وإنما الذي تعنيه هذه الدعوة هو الأخذ بالثوابت من الأصول،التي تمثل القسمات المميزة للشخصية الحضارية العربية الإسلامية،وهذه الأصول التي تحمل صلاحيات العطاء المعاصر،وتمثل قوة دفع،وطاقة تحريك للأمة نحو التقدم[270].
9. التمايز الحضاري الذي هو حقيقة واقعة يدعونا إلى أن نبصر ما لكل حضارة من خصوصية،وهذه الخصوصية لا تنفي وجود ما هو عام،وميراث إنساني تشترك فيه كل الحضارات،وفتح النوافذ على مختلف الحضارات يجب أن يكون واعيا بما هو "خاص" وما هو "عام"،ومن غير الطبيعي،وغير المفيد زرع الأجسام الحضارية الغريبة في بيئات لا تحتاجها،ولا تفيد منها[271].
10. يجب على المسلمين اتباع السنن الإلهية في كل المجالات حتى يضمنوا النجاح في كل المجالات، والتقصير في تحصيل السنن لن يؤد بالأمة إلا للفشل؛ وذلك لأن خالق الكون هو أعلم بخلقه،وهو من أرشدنا لكيفية إدارته، والواقع يبين لنا أيضاً أن المسلمين عندما أغفلوا هذه الحقيقة،وركنوا إلى التواكل،والتقليل من شأن العلم دارت عليهم الدائرة،وتراجعوا حضاريا،وتوقفوا،وسار غيرهم في طريق العلم دون توقف[272].

11. إن الخلل في عدم التأصيل،والتأسيس لعلم السنن من خلال الرؤية القرآنية هو غياب عن الوعي تطيش معه السهام،وتضل معه العقول،ويقع الإنسان معه فريسة للمفاجآت،والعجز عن التعامل معها؛لأنه عاجز-ابتداء-عن فهم المقدمات،والأسباب الموصلة لها[273].

12. القرآن الكريم حين يؤكد على الطابع العلمي للسنن الاجتماعية،فإنما يستهدف تربية الإنسان تربية علمية واعية يتعامل في إطارها،ومن خلالها مع الظواهر الاجتماعية،والأحداث التاريخية[274]؛فكما تشمل النواميس الكونية جميع الظواهر الطبيعية،كذلك تنضبط المجتمعات البشرية والأحياء بسنن الله الاجتماعية والتاريخية؛وذلك حتى لا يتحول الوجود إلى فوضى واضطراب يؤدي إلى فنائه[275].

13. إن ابتعاد الفكر الإسلامي المعاصر عن التبصر بعواقب الأمور، والتدبر في آيات الله وتنزيلها تنزيلا سننيا على واقع الحياة عبر فهم مقاصدي رفيع أفقد الأمة الجدوى والفاعلية المطلوبة للتقدم والنماء،ومظاهر السنن الإلهية متجلية في الوحي الإلهي منذ نزول أول سورة في القرآن الكريم إلى آخر نزول منه،هذا الوحي الذي يهدي للتي هي أقوم في كل شؤون حياة الناس، وأن الله لم يخلق الناس عبثا، وأن من يعمل سوءا يجز به، وإن التقدم والنماء والشهود الحضاري له شروط وضوابط تتأتى عن طريق العمل والإخلاص وليس عن طريق الأماني والتطلعات البعيدة مصداقا لقوله تعالى: {**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا**}[276].

14. التنظير والتفعيل أمران ضروريان في الحياة، لا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يستغني أحدهما عن الآخر؛ لأنهما يتغذيان من بعضهما البعض، ويكمل بعضهما بعضا..؛لأن التنظير لا يتم في فراغ، ولأن التفعيل بدون تنظير ضرب في المجهول؛ أما إذا تلازما وتواكبا-وهو المطلوب باستمرار-؛فإن الجهد يكتسي فعالية كبيرة تؤثر على حركة المدافعة والتجديد،والمداولة الحضارية للمجتمع.

15. إن ثقافة النهضة لا يمكن بناؤها والاستفادة منها إلا بـ"منظور السننية الشاملة"-على حد تعبير الدكتور الجزائري الطيب برغوث-؛لأنه المنظور الذي يمكِّن المجتمع من الانفتاح على كل الساحات والمنظومات الكونية الكبرى التي وزع الله فيها سنن فقه التوحيد الخالص، وسنن فقه الخلافة البشرية في الأرض، وسنن العبودية الشاملة لله تعالى، وسنن إقامة العمران الحضاري في الأرض، وسنن تحضير الحياة الأخروية للإنسان؛ وهي منظومات سنن الله في الآفاق والأنفس والهداية والتأييد جميعًا، دون تجزئة لها، أو مفاضلة فيما بينها، أو تهميش لبعضها لصالح بعض، أو استعاضة ببعضها عن بعض،وسيطرة النظرة الجزئية، هي التي حالت دون الانتفاع بالهدايات السننية في الوحي الإلهي، وحولت الدرس القرآني إلى مماحكات لغوية وكلامية، وجدليات فقهية عقيمة، وآراء شاذة خرجت به عنه مقصد الكلية.

16. اكتشاف السنن الإلهية واستنباطها من الكتاب المسطور (القرآن الكريم) والكتاب المنظور (الكون) لا يتم إلا بالعلم، ذلك بأن الوحي القرآني أكد في أكثر من موضع أن السبيل إلى سبر أغوار الكون والوقوف عند سنن الله فيه، وتعرف أسرار القرآن الكريم واستنطاق آياته لاستنباط المنظومات السننية التي قررها الوحي، لا يكون إلا بنور العلم. (لأولي الألباب) (لقوم يعقلون) (لقوم يتفكرون).

وأخيرا ينبغي أن نصنع أنفسنا بأنفسنا، فوعاء الحضارة لا يقتبس، إن لم نصنع حضارتنا بأيدينا فلن تكون لنا حضارة أبدا؛لأن الحضارة لا تصنع بمنتوجات حضارية مستوردة..، إن قضية الاقتباس من الآخر من أخطر المسائل التي

اعترضت، وما زالت تعترض الفكر الإسلامي المعاصر، وهي نبض التأخر الحضاري للمسلمين اليوم، فإن هي توقفت،أو رُشِّدت فسوف نرى نور الحضارة في سماء بلادنا الإسلامية[277].

خاتمة:

إن من الرحمة بالإنسان والتكريم له أن جعل الله تعالى السنن الإلهية قوانين تحكم حركة الكون والإنسان، وبذلك فهي بمثابة ملامح وتوجهات ترشده نحو الطريق المؤدي إلى الخلاص والنجاح، فتتضاءل أخطاؤه، وتكون ساحة التفاعل والحرية أوسع، ومن ثم يجد كل إنسان متدبر لآيات الله في الآفاق والأنفس عبرة وذكرى وسنة لما قد يحل بأمته في حاله ومستقبله؛ويمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث في الآتي:

1. القرآن الكريم أول المصادر للكشف عن فقه السنن الحضارية،والمختبر الدقيق للكشف عن اطراد هذه السنن، وثباتها، وفاعليتها في الحياة والأحياء.
2. وجه القرآن الكريم إلى ضرورة فهم حركة الوجود،وقوانين الكون،وطبائع الحياة،وسنن العمران، والتاريخ،ومناهج الاستخلاف، وسبل التحضر،ونبه إلى أن فهمها يحمي من الوقوع في أخطاء السابقين؛ فالقرآن الكريم مستودع لقوانين وسنن ربانية في قيام الحضارات واندثارها.
3. الدراسة الموضوعية للسنن الإلهية تؤكد أنها سنن ربانية ثابتة لا تتبدل،ولا تتحول بتبدل الأمم،والأماكن، والأزمان،وهي مطردة؛فالمقدمات تقود إلى النتائج،كما أنها عادلة؛فلا تحابي أحدا،مسلما كان أم كافرا،وهي شاملة للكون والأحياء،ولكنها سنة عامة كلية؛لا تتعرض للجزئيات والتفصيلات.

   القرآن الكريم غني بالجوانب الحضارية التي تتكفل بأن تجعل الأمة المسلمة أمة رائدة قائدة تقود الناس إلى طريق الله رب العالمين، ولكن الأزمة الحقيقية لهذه الأمة ليست في غياب المنهج الذي يضبط، ولكن في العقل الذي يدرك، والقلب الذي يعي، والجارحة التي تعمل وتنفذ؛ فمحاولة التعرف على السنن،وحسن التعامل معها هو الكفيل بالعودة إلى الموقع المفقود،واسترداد الشهادة والقيادة التي نيطت بالأمة المسلمة.
4. فقه السنن يعطي القدرة على التغيير والتجديد،ومغالبة قدر بقدر،والفرار من قدر إلى قدر،وأن يصبح الإنسان مسايرا لهذه السنن،عارفا بقوانينها ونظامها، وإغفال السنن وعدم فقهها في ميدان الدراسات الحضارية في واقع المسلمين الحالي أدى إلى ضياع طاقات كثيرة بذلها مفكرون ومربون إسلاميون عظام،وذهب الكثير منها سدى في ظل مشكلة الإنسان المسلم صاحب المنهج الفقيه بسنن التحضر ، الخبير بربط عناصر الكون،وطاقاته المعنوية بالحياة الاجتماعية لخدمة الإنسان.
5. العقل الإسلامي المعاصر من أبعد العقول الإنسانية عن الممارسة السننية،والتفكير السنني الجاد خاصة وأنه لا يزال يتخبط في دوامة الخلط بين السنن الجارية،والسنن الخارقة،أو بتعبير آخر بين التفكير السنني،والتفكير اللاسنني.
6. العلم بالسنن الإلهية أحد الفروض الكفائية على الملة الإسلامية،وهو بحاجة إلى تأصيل ودراسة واعية؛ولأن معرفة هذه السنن جزء من معرفة الدين.

المقترحات:

1. يتجلى مدى إسهام الفكر السنني في تجديد العلوم الإسلامية يتجلى في أنه ينقلها من الرؤية التجزيئية التبعيضية إلى الرؤية الكلية الشمولية، ومن الاشتغال بقضايا لفترة تاريخية مضت، إلى الاشتغال بقضايا العصر، ومستجداته ومشكلاته، ومن الغياب عن الواقع إلى الحضور فيه،ومعالجة مشكلاته، وبالتالي ضرورة توحيد الجهود بين علماء العصر المتخصصين على تحويل مفهوم السنن الإلهية مع جهود السابقين إلى علم قرآني له أسسه وقواعده حتى تستفيد الأمة من هذا العلم؛ لتسير على الطريق السليم القويم الإلهي.
2. توطين الوعي السنني الشامل المتكامل والمتوازن، الذي يقي جهد الأمة الإجرائي من مخاطر التجزيئية والانكفائية والاستكفائية والاستعلائية التنافرية المتشظية المنهكة، ويضعه في سياقه التكاملي البنائي الفعال.
3. اعتماد المنهج الاستقرائي في اكتشاف السُنَن الإلهية،والتوصل إلى الحقيقة العلمية، عبر إعمال العقل في مساحة الكون في الآيات المنظورة؛للوصول إلى "فقه الحياة" و"فقه الحضارة"، كما وصلنا إلى "فقه الأحكام".
4. نشر "الثقافة السُننية"،وبث "الوعي السُني"، و"التخصّص" في علم السنن، وتحوله إلى رافد ثقافي في مختلف المراحل المعرفية لأفراد الأمّة ومؤسساتها، وهيئاتها، ونقل العقل المسلم المعاصر من مجرد "القياس" على الماضي إلى "استقراء" الحاضر،و"استشراف" المستقبل؛لإعادة بناء وتشكيل "الهندسة العقلية السننية" من جديد.
5. تربية الناشئة على التفكير السنني؛ ليحل محل الأوهام التي تشربت إلى أذهان الجيل الجديد؛لأنه بقدر ما تكون طريقة التربية ملائمة مع طبيعة النفس وسنن تغييرها، بقدر ما تكون فعَّالة ومؤثرة،وتوعية الأجيال بالفكر السنني يكون عن طريق الإعلام المقروء،والمنظور، والمسموع، وعن طريق الفعاليات،والأنشطة الثقافية والعلمية.
6. إدراج الفكر السنني في المناهج الدراسية الجامعية خاصة، حيث يصاغ المقرر لكل مستوى حسب قدراته وملكات فهمه واستيعابه؛على سبيل المثال تأسيس تخصص "فقه السنن الإلهية" في الجامعات خاصة في الكليات الشرعية،وكليات التاريخ،وعلم النفس،وعلم الاجتماع،والجيولوجيا (علم الأرض)
7. تأسيس المراكز البحثية المتخصصة في الفكر السنني،ولهذا نتطلع إلى أن تقوم المؤسسات،والمراكز والهيئات البحثية والأكاديمية، بتوحيد جهود الباحثين المتخصصين في هذا المجال، من أجل مشاريع بحثية وعلمية تخدم "الفكر السنني"، وتوضح آليات تنزيله في الواقع،وأهميته في النهوض الحضاري للأمة.
8. ضرورة النظر الدقيق في المضامين،والدلالات السننية للمصطلحات القرآنية،باعتباره موردا من الموارد التي لا تنضب، وبالتالي التأسيس والتقعيد لهذا العلم من خلال الوعي الصحيح،والفهم العميق لنصوص الوحي الإلهي في عالميته وشموليته،ووحدة موضوعيته، وتناسبيته،وعطاءاته المستمرة، وفي علاقته مع الوجود الكوني بأسره.
9. ضرورة الانتقال من "العلم بالسّنن" إلى "العمل بها"،أو من التنظير إلى التفعيل.
10. عقد مؤتمرات دولية دورية خاصة بتجسيد مشروع "الفقه السنني"،تتفرع عنها ورش عمل هدفها متابعة هذا المشروع.

وأخيرا أهيب بالدارسين والباحثين أن يكملوا المسيرة بعزم وتصميم، ويبحثوا في هذه السنن وغيرها بجد واجتهاد، ويستكشفوا أغوارها؛ وذلك لأن حاجة الأمة إلى معرفتها، ومعرفة أسباب تحققها حاجة ماسة؛ كي تستعيد مكانتها المرموقة التي أرادها الله تعالى لها. حينما قال **{كنتم خير أمَّةٍ أخرِجَت لِلنَّاسِ}** [آل عمران:110]

الهوامش (الإحالات):

[1] أحمد الحاجي، السنن الربانية من التعطيل إلى التفعيل، مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، منشور على الشبكة الإنترنت، 31 أوت 2020م.

[2] ينظر: مقدمة بوعبيد الازدهار، العلاقة بين السنن الشرعية والسنن الكونية (دراسة تأصيلية مقاصدية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، جامعة السلطان مولاي سليمان، المملكة المغربية، 2016م.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 220/13 والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ، 1008/1 والأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، ت حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، 248/2 والجرجاني علي بن محمد، التعريفات، ت إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، 161/1 والقرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، 216/4.

[4] **صحيح**: رواه مسلم من طريق المنذر بن جرير عن أبيه. [كتاب: الزكاة/باب: الحث على الصدقة]، ح: 1017. (انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، ، ط2، 1414هـ-1994م، 142/7-145)

[5] **منقطع**: رواه مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه. [كتاب: الزكاة/باب: جزية أهل الكتاب والمجوس]، ح: 1025.

قال ابن عبد البر: هذا حديث منقطع؛ فإن محمد بن علي لم يلق عمر، ولا عبد الرحمن بن عوف... ولكن معناه متصل من وجوه حسان. (ينظر: ابن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت أسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط4، 1429هـ-2008م، 97/7-98)

[6] عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م ، ص11-12.

[7] ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، دمشق، 1399هـ-1979م، 60/3.

[8] عيساوي عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1433هـ-2012م، ص26.

[9] ينظر: الطبري محمد بن جرير، جامع البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1997م، 444/3 والرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، دون سنة نشر، 11/9 ورشيد رضا، المنار، 140/4 والمراغي أحمد مصطفى، تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1974م، 75/4 ووهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دون بيانات، 96/4.

[10] ينظر: حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008م، ص47.

[11] عيساوي، مرجع سابق، ص35.

[12] رشيد رضا، المنار، 139/4.

[13] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ، 54/1.

[14] ذكر هذا الأثر الهيثمي في "مجمع الزوائد" (69/9) وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال الصحيح غير أسد بن موسى، وهو ثقة. (انظر: ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، منهاج السنة النبوية، ت محمد رشاد سالم، دون دار نشر، ط1، 1406هـ-1986م، 59/6)

[15] ابن تيمية، مجموع الرسائل، ت محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405هـ-1984م، ص54-55.

[16] جودت سعيد، الإنسان كلا وعدلا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ-1993م، ص13.

[17] جهان رفعت، السنن الإلهية الفاعلة وأثرها في التطور الاقتصادي في القرآن الكريم، دون بيانات، 2021م، ص107.

[18] محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المنار، مصر، ط3، 1367هـ، 2/8-3.

[19] ينظر: حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم، ص53-55 وأحمد خضر حسنين، التغيرات في الأمة الإسلامية، ص20-22.

[20] ينظر: صديق عبد العظيم، سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، مجلة الشريعة للدراسات الإسلامية، الكويت، العدد: 31، ص66 ويوسف القرضاوي، مدخل لدراسة السنة النبوية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1992م، ص08.

[21] عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص13.

[22] حسني محمد العطار، مرجع سابق، ص16.

[23] سيد قطب،في ظلال القرآن،480/1. (انظر أيضا: مجدي محمد عاشور،السنن الإلهية في القرآن الكريم،وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،مصر،مجلة دراسات إسلامية،العدد:111، 1425هـ-2004م،ص37 وأحمد خضر حسنين،التغيرات في الأمة الإسلامية،ص06)

[24] سيد قطب،مرجع سابق،272/1. (انظر:أيضا أحمد محمد كنعان،أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق،إصدارات المحاكم الشرعية،قطر،العدد:26، 1411هـ،ص52)

[25] أحمد خضر حسنين،مرجع سابق،ص06.

[26] حسني العطار،مرجع سابق،ص15. (انظر أيضا:أحمد معاذ علوان حقي،أثر الإيمان في بناء الحضارة الإنسانية،مجلة المنارة، العدد:12، 10 أكتوبر 2006م،ص16 ومحمد علي الصلابي،فقه النّبيِّ صلى الله عليه وسلم في التّعامل مع السُّنن،الموقع الرسمي لرابطة علماء السنة،29 أفريل 2021م)

[27] عمر عبيد حسنة،مراجعات في الفكر والدعوة،دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر،ص11. (انظر أيضا:شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب،السنن الإلهية في الحياة الإنسانية،رسالة دكتوراه،مكتبة الرشد،الرياض،ط1، 2004م،27/1)

[28] كمال قدة،السنن الكونية والاجتماعية من خلال القرآن الكريم (دراسة موضوعية)،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية،جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي،الجزائر،العدد:15،مارس 2016م،ص145.

[29] محمد سعيد رمضان البوطي،من سنن الله في عباده،دار الفكر،دمشق،بدون بيانات،ص09. (ينظر أيضا: الخطيب شريف،السنن الإلهية في الحياة الإنسانية،مكتبة الرشد،الرياض،ط1، 2004م،ص27 وحسين شرفه،سنن الله في إحياء الأمم،ص57 وأحمد خضر حسنين،التغيرات في الأمة الإسلامية،ص23 وكمال قدة،السنن الكونية والاجتماعية،ص146)

[30] كمال قدة،مرجع سابق،ص145-146.

[31] ينظر: رشيد كهوس،علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي،مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، ،ط1، 1436 هـ - 2015م. والحق أنه ناقل للتقسيم من الباحث البروفيسور الجزائري الطيب برغوث في مؤلفاته القيمة.

[32] أيمن بن نبيه المغربي،السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم (جمعا ودراسة)،رسالة ماجستير،كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1428هـ،ص40.

[33] ينظر: محمد مرتضى الزبيدي،تاج العروس،دار صادر،بيروت،دون سنة نشر،146/3.

[34] ول ديورنت،قصة الحضارة،ترجمة زكي نجيب محمود،القاهرة،1973م،5/1.

[35] محمد سعيد رمضان البوطي،منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،دار الفكر المعاصر،بيروت،2003م،ص19.

[36] تقي الدين النبهاني،مرجع سابق،ص59-60.

[37] أحمد خضر حسنين،مرجع سابق،ص186.

[38] رشيد رضا،المنار،139/4.

[39] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[40] محمد الغزالي،نظرات في القرآن،دار الكتب الحديثة،مصر،ط5،دون سنة نشر،ص166.

[41] محمد الغزالي،سر تأخر العرب والمسلمين،شركة نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة،ط7، 2005م،ص11.

[42] رشيد رضا،المنار،140/4.

[43] المرجع نفسه،499/7.

[44] عبد الحليم عويس،تفسير التاريخ علم إسلامي،دار الصحوة،القاهرة،دون سنة نشر،ص104.

[45] عبد الكريم زيدان،السنن الإلهية،ص11-12.

[46] المرجع نفسه،ص16-17.

[47] محمد أمحزون،علم السنن وأهميته في الآفاق والأنفس، مجلة البيان،العدد:238، 1425هـ،ص25..

[48] عبد الكريم زيدان،مرجع سابق،ص16-17.

[49] وجدي محمد فريد،مهمة الدين الإسلامي في العالم:دعوته إلى تعرف سنن الإلهية في الجماعات البشرية،مجلة الأزهر،مطبعة الأزهر،القاهرة،السنة:06، الجزء:05، 1354هـ،ص298.

[50] عمر عبيد حسنة،حتى يتحقق الشهود الحضاري،المكتب الإسلامي،بيروت،ط1، 1412هـ-1991م،ص76.

[51] ذو الكفل بن الحاج محمد يوسف، السنن الإلهية:حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم،مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد:07، 1430هـ،ص83-84.

[52] خليل عماد الدين،حول إعادة تشكيل العقل المسلم،سلسلة كتاب الأمة،رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية،قطر،ط1، 1402هـ،ص53.

[53] أبو منير،سنة الله في نصرة عباده المؤمنين،حضارة الإسلام،دمشق،السنة:19،العدد:06، 1398هـ-1978م،ص74.

[54] رشيد رضا، المنار،116/4.

[55] آل عمران:137.

[56] النساء:26.

[57] الأنفال:38.

[58] الحجر:11-13.

[59] الإسراء:76-77.

[60] الكهف: 55.

[61] الأحزاب:38.

[62] الأحزاب: 61.

[63] فاطر: 44.

[64] الحجر: 13.

[65] الفتح:22-23.

[66] عيساوي،مرجع سابق،ص41-42.

[67] ينظر: الزركشي،البرهان في علوم القرآن،ت محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة،بيروت، 1391هـ،413/1.

[68] ينظر: الركابي إياد،السنن التاريخية في القرآن المجيد،دار النهضة الإسلامية،بيروت،ط1، 1996م،ص25.

[69] عيساوي،مرجع سابق،ص44.

[70] أحمد الحاجي،السنن الربانية من التعطيل إلى التفعيل،مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية،منشور على الشبكة الإنترنت، 31 أوت 2020م.

[71] الحجر: 91.

[72] طه جابر العلواني،مقدمة في إسلامية المعرفة،دار الهادي،بيروت،لبنان،ط1، 1421هـ-2001م،ص86.

[73] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،العقيدة الإسلامية وأسسها،دار القم،دمشق-بيروت،ط2، 1399هـ-1979م،ص256.

[74] البوطي، مرجع سابق،ص09.

[75] الكهف:109.

[76] البوطي،مرجع سابق،ص10.

[77] البقرة:251.

[78] رشيد رضا،مرجع سابق،497/2.

[79] محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر،تونس،1984م،502/2.

[80] الحج:38.

[81] الطاهر بن عاشور،مرجع سابق،500/2.

[82] الرعد:17.

[83] الحج:40.

[84] زيدان،مرجع سابق،ص46.

[85] محمد عمارة،الحضارات العالمية:تدافع أم صراع؟،دار نهضة مصر،القاهرة،ط1، 1998م،ص17-18.

[86] المرجع نفسه،ص18-19.

[87] جودت سعيد،اقرأ وربك الأكرم، دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان،ط2، 1414هـ-1993م،ص231-233.

[88] آل عمران:141.

[89] الانشراح:5-6.

[90] الطلاق:7.

[91] يوسف القرضاوي،المبشرات بانتصار الإسلام،مكتبة وهبه،القاهرة،مصر،ط3ن 1424هـ-2004م،ص83-84.

[92] هيشور محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها،دار الوفاء،المنصورة،ط1، 1417هـ-1997م، ص33-36.

[93] القرضاوي،المبشرات،ص85.

[94] الأعراف:129.

[95] الأنبياء:105.

[96] محمد قطب،التفسير الإسلامي للتاريخ،ص68.

[97] زيدان،مرجع سابق،ص21-22.

[98] ابن تيمية،الفتاوى،70/1.

[99] البقرة:22.

[100] الأنفال:29.

[101] زيدان،مرجع سابق،ص33. بتصرف يسير.

[102] ابن تيمية،مجموع الفتاوى،529/8.

[103] زيدان،مرجع سابق،ص24.

[104] محمد سعيد رمضان البوطي،كبرى اليقينيات الكونية:وجود الخالق ووظيفة المخلوق،دار الفكر،دمشق،1417هـ-1997م،ص290-291.

[105] جمال نصار،لماذا يجب الاهتمام بالسنن الإلهية؟،موقع:عربي21 على شبكة الانترنت،تاريخ الإضافة،17 أوت 2017م.

[106] أيمن المغربي،السنن الإلهية،ص76.

[107] الجاثية:13.

[108] الإسراء:70.

[109] جودت سعيد،اقرأ وربك الأكرم،ص234.

[110] البوطي،من سنن الله في عباده،دار الفكر،دمشق،بدون بيانات،ص49-50.

[111] جودت سعيد،الإنسان كلا وعدلا، دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان،ط1، 1414هـ-1993م،ص44.

[112] الإسراء:20.

[113] جودت سعيد،اقرأ وربك الأكرم،ص236-237.

[114] جودت سعيد،حتى يغيروا ما بأنفسهم (أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع)،بدون بيانات،ط8، 1989م،ص15.

[115] جودت سعيد،اقرأ وربك الأكرم،ص231-232.

[116] كنعان أحمد محمد،أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق،سلسلة كتاب الأمة،رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة،قطر،ط1، 1411هـ،ص68.

[117] الفرقان: 02.

[118] أحمد خضر حسنين،التغيرات الإنسانية،ص41-42.

[119] انظر:تفسير المراغي أحمد مصطفى،تفسير القرآن،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط3، 1974م،148/18.

[120] القمر:49.

[121] أحمد خضر حسنين،مرجع سابق،ص156.

[122] الحجر:19.

[123] الرحمان: 07.

[124] الإسراء: 20.

[125] الكهف:07.

[126] محمد قطب،التفسير الإسلامي للتاريخ،ص56-57.

[127] أحمد خضر حسنين،مرجع سابق،ص250.

[128] أحمد الحاجي، السنن الربانية من التعطيل إلى التفعيل، مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، منشور على الشبكة الإنترنت، 31 أوت 2020م.

[129] الأحقاف:09.

[130] هود: 118.

[131] الرازي عمر بن علي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ-1999م، 412/8.

[132] النور:55.

[133] محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2003م، ص24-25. (انظر أيضا: محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص66-67)

[134] هود:61.

[135] القصص:05.

[136] الأنبياء:105.

[137] محمد:7.

[138] الأعراف:157

[139] الروم:5.

[140] الحج:38.

[141] الأعراف:96.

[142] الأعراف:96.

[143] الرعد:28.

[144] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص61.

[145] طه:124.

[146] محمد:12.

[147] جمال نصار، لماذا يجب الاهتمام بالسنن الإلهية؟، موقع: عربي21 على شبكة الانترنت، تاريخ الإضافة، 17 أوت 2017م.

[148] النحل: 112-113.

[149] إبراهيم: 13.

[150] حسنة عمر عبيد، حتى يتحقق الشهود الحضاري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1412هـ-1991م، ص48.

[151] الكهف:59.

[152] الإسراء:16

[153] الشعراء:208-209

[154] الأنعام:7.

[155] يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط3، 1402هـ، ص104-107 ومحمد عمارة، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، 1427هـ-2007م، ص75-78.

[156] محمد عمارة، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، 1427هـ-2007م، ص86.

[157] محمد علي الصلابي، فقه النّبيِّ صلى الله عليه وسلم في التّعامل مع السُّنن، الموقع الرسمي لرابطة علماء السنة، 29 أفريل 2021م.

[158] القرضاوي، الصحوة الإسلامية، ص107-108.

[159] العنكبوت:53.

[160] الأحقاف:35.

[161] القرضاوي، الصحوة الإسلامية، ص107-108. (انظر أيضا: محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص66)

[162] القرضاوي، المبشرات، ص86-87.

[163] الأنفال:53.

[164] الرعد:11.

[165] جودت سعيد،لا إكراه في الدين،دار العلم والسلام للدراسات والنشر،دمشق،سورية،ط1، 1418هـ-1997م،ص50-51.

[166] حسني العطار،السنن الإلهية،ص49-50.

[167] جودت سعيد،حتى يغيروا ما بأنفسهم،ص69. (انظر:البوطي،من سنن الله،ص158-169)

[168] محمد صادق عرجون،سنن الله في المجتمع من خلال القرآن،الدار السعودية،الرياض،ط3، 1984م،ص48.

[169] جمال نصار،لماذا يجب الاهتمام بالسنن الإلهية؟،موقع:عربي21 على شبكة الانترنت،تاريخ الإضافة،17 أوت 2017م.

[170] انظر:أحمد بن توفيق الغلبزوري،السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم،بحث على شبكة الانترنت:
http://iiit.org.ma/index.phpD

[171] محسن عبد الحميد،منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1، 1983م،ص07.

[172] إسماعيل راجي الفاروقي،أسلمة المعرفة:المبادئ العامة وخطة العمل،ترجمة عبد الوارث سعيد،دار البحوث العلمية،الكويت،ط1، 1404هـ-1984م،ص69.

[173] جمال نصار،لماذا يجب الاهتمام بالسنن الإلهية؟ ،موقع عربي21 على شبكة الإنترنت،17 أوت 2017م.

[174] الروم: 41.

[175] الإسراء: 16.

[176] الجن: 16.

[177] محمد قطب،التفسير الإسلامي للتاريخ،ص64.

[178] محمد:7.

[179] آل عمران:126.

[180] آل عمران 160.

[181] محمد الغزالي،سر تأخر العرب والمسلمين،ص08. بتصرف يسير.

[182] القصص:83.

[183] يوسف:90.

[184] يوسف:87.

[185] محمد:01.

[186] محمد الغزالي،سر تأخر العرب والمسلمين،ص08.

[187] فاطر:02.

[188] محمد الغزالي،سر تأخر العرب والمسلمين،ص09.

[189] البقرة:155.

[190] الأنبياء:35.

[191] البوطي،من سنن الله،ص13-18.

[192] البوطي،من سنن الله،ص18.

[193] النساء:123.

[194] البوطي،من سنن الله،ص21-22.

[195] البوطي،من سنن الله،ص23-25.

[196] الشورى:30.

[197] البوطي،من سنن الله،ص37.

[198] هود:15.

[199] الإسراء:18.

[200] البوطي،من سنن الله،ص42.

[201] آل عمران:57 و 140.

[202] النحل:90.

[203] البوطي،من سنن الله،ص64.

[204] هود:117.
[205] البوطي، من سنن الله، ص102.
[206] القصص:59.
[207] التوبة:120.
[208] ابن تيمية، الفتاوى، 124/4.
[209] المائدة:78-79.
[210] الأعراف:165.
[211] الأنفال:25.
[212] البوطي، من سنن الله، ص109-110.
[213] البوطي، من سنن الله، ص119.
[214] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص68-71.
[215] الأنعام: 44-45.
[216] البوطي، من سنن الله، ص119-121.
[217] آل عمران:196-197.
[218] القلم:44-45.
[219] الرعد:32.
[220] الحج:48.
[221] البوطي، من سنن الله، ص127.
[222] محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، ص10.
[223] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص67.
[224] محمد:04.
[225] محمد.: 07
[226] الأنفال: 62-63.
[227] الأنفال: 64.
[228] التوبة: 111.
[229] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص67-68.
[230] أحمد خضر حسنين، التغيرات الإنسانية، ص143.
[231] الأنعام: 42.
[232] الرعد: 31.
[233] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص71.
[234] العنكبوت:1-3.
[235] آل عمران:141.
[236] محمد قطب، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص72.
[237] آل عمران:179.
[238] الأنعام:123.
[239] رشيد رضا، المنار، 28/8.
[240] عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص240.
[241] الأنعام:129.
[242] البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 270/7-271.
[243] فاطر:43.
[244] الأنعام:160.

[245] الشورى: 40.

[246] النحل:126.

[247] البقرة:149.

[248] البقرة:178.

[249] عيساوي، مرجع سابق، ص272-273.

[250] المرجع نفسه، ص285.

[251] الأحزاب:62.

[252] زيدان، مرجع سابق، ص14.

[253] الحشر:07.

[254] زيدان، مرجع سابق، ص15.

[255] القمر:43.

[256] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 145/15.

[257] حسين شرفه، سنن الله في إحياء الأمم، ص63.

[258] عبد العزيز برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة(دراسة في أهمية التجديد الثقافي والتربوي والتعليمي)، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1428هـ-2007م، ص83.

[259] جودت سعيد، لا إكراه في الدين، ص54.

[260] كمال قدة، السنن الكونية والاجتماعية، ص146.

[261] عبد العزيز بن المبارك برغوث، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1415هـ-1995م، ص67.

[262] يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1421هـ-2000م، ص457.

[263] أبو الحسن الندوي، أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها، دار حراء، الهند، ط1، 1402هـ-1981م، ص15.

[264] سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1409هـ-1989م، ص111.

[265] سيد قطب، معالم في الطريق، ص87-88.

[266] الفرقان:02.

[267] محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، تقديم وتعليق محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2003م، ص11.

[268] طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص23.

[269] الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، ص16-17.

[270] محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2007م، ص118-119.

[271] المرجع نفسه، ص123.

[272] محمود حمدي زقزوق، السنن الإلهية وأثرها في نهضة الأمم، المؤتمر الدولي الثالث عشر للفلسفة الإسلامية، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر، 28-29 أفريل 2003م، ص15.

[273] عمر عبيد حسنة، من فقه التغير:ملامح من المنهج النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص89-90.

[274] عبد الجبار محمد، المجتمع:بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1408هـ-1987م، ص56.

[275] ذو الكفل بن الحاج، مرجع سابق، ص100.

[276] النساء:123.

[277] جمال نصار، لماذا يجب الاهتمام بالسنن الإلهية؟، موقع:عربي21 على شبكة الانترنت، تاريخ الإضافة، 17 أوت 2017م.